التوفيق العملي

بين الحضارة والاسلام

تأليف

رضوان شافعي السعافي

من علماء مدرسة القضاء الشرعي

(وكذلك أوحينا اليك روحاً من
امرنا ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً
نهدي به من نشاء من عبادنا وانك
لتهدي الى صراط مستقيم)
قرآن كريم

obeikandl.com

فهرس كتاب التوفيق العملي

صفحة

كلمة في هذا الكتاب لاسيد رشيد رضا

٢ خطبة حافلة

٤ تمهيد وجيز

٧ وعد بعض العلماء بالتوفيق

٨ الحضارة لغة وعرفا

٩ حاجة الدين الى العلوم الحديثة

٩ الاستدلال بنظريات علم الكيمياء ونحوه

١٠ حكم استخدام النظريات الحديثة في استنباط الاحكام الشرعية

١١ نموذج لاستخدام نظريات علم الكيمياء في الاستنباط المذكور

١٢ « « « « الطبيعة « « «

الظاهرة الاولى

١٣ الظاهرة الثانية

١٤ الظاهرة الثالثة

١٨ نموذج لاستخدام نظريات علم الهندسة في الاستنباط المذكور

١٩ البرهان الهندسي والاستدلال الشرعي

٢١ نموذج لاستخدام نظريات الجغرافيا الطبيعية الحديثة
في فهم الايات القرآنية على وجهها

٢٤ الامطار : انظر الى آراء فلاسفة الحكماء والمعتزلة وبعض أهل الاثر
والاشاعرة ، ثم انظر الى كلام الوحي الامين مع النظريات الحديثة

نمرة اذن التشغيل
نمرة الطلب
التجليد
التاريخ

obeikandl.com

صفحة

٢٧ نموذج لاستخدام نظريات علم الهيئة الحديثة
في فهم الآيات القرآنية على وجهها
٣٢ الجذب العام بين الارض والسموات العلا
٢٨ السموات السبع
٣٢ متى الساعة ؟ وكيف تكون ؟
٣٤ ملحوظة ذات بال
٣٦ الشمس والقمر ونظرية الطيف
٣٩ نموذج لاستخدام نظريات علم الفلك في فهم الآيات القرآنية على
وجهها وشيء من علم الهيئة أيضا
٤٣ السؤال عن الهلال والجواب عن السؤال
٤٨ نموذج لاستخدام نظريات علم النبات وعلم الحيوان في فهم الآيات
٥١ » » » » الطب :—
(١) في استنباط الاحكام الشرعية
(٢) في فهم الآيات القرآنية
» » » » التشريح :—
أولا في كتاب الصوم
٥٢ ثانيا » » »
٥٣ ثالثا باب ثبوت النسب
٥٤ رابعا فى سورة قد أفلح المؤمنون
٥٦ الاخلاق والعادات

obeikandl.com

صفحة

٥٧ التوفيق بالبرهان بين الدين الحنيف وبين الحضارة فى الاخلاق
٥٨ الايثار ـ الحكمة والحزم
٥٩ الصبر
٦٠ الشجاعة
العفة
٦٢ أداء الواجب للواجب
الاحسان فى كل شىء
العدل المطلق
الشجاعة الادبية
ترك الانتقام السيء
العفو عند المقدرة
٦٣ حسن المعاملة بين الناس ـ علم الاخلاق الاجتماعي
٦٤ » » » أفراد الاسرة وحقوق المرأة
« الحكم الاخلاقي لا يصدر الا على عمل الارادة
٦٥ نموذج لاستخدام نظريات علم النفس فى فهم الآيات القرآنية فهما صحيحا
٦٧ الدين الاسلامى وحرية الاعتقاد
٧١ « « صالح لكل زمان وكل مكان
٧٣ خاتمة جامعة

تم

obeikandl.com

﴿ كلمة في هذا الكتاب لصاحب المنار ﴾

امتازت مدرسة القضاء الشرعي في مصر بأنها أول مدرسة دينية اسلامية افرغت في احدث قوالب النظام المدرسي العصري ، وجمعت بين أسلوب التعليم الازهري التقليدي ، وأسلوب التعليم الاستقلالي ، وضمت الى فنون اللغة العربية وعلوم الشرع ، حظا موفوراً من الفنون الرياضية والطبيعية وعلوم العصر ، فتخرج فيها باختلاف الاستعداد الفطري والتربية المنزلية وبيئة المعاشرة أزواج ثلاثة: أناس أقرب الى جمود المدارس الدينية ، وافراد أدنى الى ميعة المدارس العصرية ، ووسط بين الطرفين هم ضالة طلاب الاصلاح لهذه الامة ، فهي لن تكون أمة عزيزة في هذا العصر الا اذا كثر فيها الذين يعقلون دينها الذي قامت على أساسه حضارتها التي تداعى بنيانها ، ويعرفون وجه حاجتها الى الفنون والنظم التى قامت عليها مدنية هذا العصر ، ويستطيعون السير بها في الجادة التى يكونون بها مسلمين مدنيين ، أعزة سائدين ، وقد وجدنا في نابتة هذه المدرسة مدداً لهؤلاء الجامعين للأمرين

هذا كتاب (التوفيق العملي بين الحضارة والاسلام) باكورة تصنيف أحد نابغي علماء التخصص في هذه المدرسة وهو الاستاذ الفاضل الشيخ رضوان شافعي المتعافي الذي أخرجته مطبعة المنار للناس شاهد لهذه المدرسة بما قلنا

وجه مصنفه فهمه فيه الى التوفيق بين حضارة هذا العصر وبين الدين الاسلامي ليثبت لفريقي الجامدين والمتفرنجين انه لا تنافي بينهما في الجوهر المقصود منهما ، أورد فيه نماذج من استخدام أحدث نظريات العلوم والفنون الرياضية والطبيعية والطب في استنباط الاحكام الشرعية بحسب فقه الحنفية الذي يتوسعون فيه بهذه المدرسة ونماذج أخرى في التوفيق بين علم الهيئة الحديث والجغرافية الطبيعية وبين القرآن الحكيم ، وألم ببحث التوفيق بين هداية الدين في الاخلاق وبين الحضارة الصحيحة وببحث حرية الاعتقاد في الاسلام وبحث كونه صالحا لكل زمان ومكان . وفي بعض مباحث الكتاب ما لم نره لغير مصنفنا من الذين سبقوه الى الكتابة في هذا الغرض فهو مستقل الفكر ، ولنا في استقلال فكره واستعداد عقله للاستنباط ، وحسن عبارته ما يبشر بأن هذا الهلال الذي طلع علينا من كتابه الجديد سيكون بدرا كاملا ان شاء الله تعالى

(محمد رشيد رضا)

صاحب المنار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض ، وجعل الظلمات والنور والصلاة والسلام على النبي الامي الذي يوافق دينه كل العصور. والذي آخى بين الدنيا والدين . فمحا الرهبانية وأنار للمسلمين سبيل الحضارة والمدنية وعلى آله واصحابه ومن نسجوا على منواله

وبعدفقد أخذفريق من الناس يبسطون السنتهم نحو الدين الحنيف ليسوءوا جماله ، وليغضوا من جلاله ، كيما يهوون به الى هوة منحطة ، فيهون عليهم بعد ذلك أن يقبروا فيها جثمان الدين ، حتى يكون الدين أن لادين . فيمرقون من الاديان قاطبة مروق السهم من الرمية ، ويغشاهم مذهب الدهريين الضالين . فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين

بينا نرى رجال الدين غير دائبين على تعزيزه ، ولا مكافحين لتعزيره لايصدعون بالرأي ، ولا يرأبون الثأي . فكانت مغبة ذلك أن شبه الحضارة قد رانت على افئدة كانت لاترى غير الله مذهبا ، ولا تعرف غير القرآن والسنة منقلبا . ألا وإنا لمشفقون أن تكون معذرتهم أن الدين قد أبده السابقون بحجج كثيرة في كتب شتى تجعل السائلين في غنية عما سواها . فهذه لاريب معذرة داحضة . فان كتب السلف الصالح لم تتعرض لشبهات القرن العشرين ، تلك الشبهات التي تقذف بها النظريات الحديثة ، وتحدوها المستكشفات الغضة . مثل قولهم « إن تاريخ قدماء المصريين المرقوم على آثارهم التي ظهرت حديثا يدل دلالة بينة على انه لم يكن في مصر نخيل

زمن الفراعنة فما قولكم في قوله تعالى حكاية عن فرعون مصر اذ يقول للسحرة (ولاصلبنكم فى جذوع النخل)؟ فما تكاد تجد لهذا جوابا مقنعا في غضون تلك المؤلفات فضلا عن أن بعضها قد حشى بالترهات والخرافات التي كان يخفى أمرها ظلمات الجهالات . فلما طلع عليها فجر العلوم الحديثة هتك سترها ، وفضح سرها فاذا بها ، والحق ينعيها ، والبطلان يبكيها مع مع كثرة المستمسكين بها ووفرة المحافظين على إحقاقها

فاصبحنا اليوم امام حزبين اثنين (أحدهما) ينظر الى الدين وهو مودع في بطون تلك الاسفار المحشوة بالخزعبيلات نظرة موبقة (وثانيهما) يرمقه كانه مكنون في صدفاتها ولو تركنا كل فريق يمعن في سبيله فذلك يمعن في سبيل الدنيا وغضارتها وهذا يمعن في سبيل الآخرة لآذنا بفصل الدنيا عن الدين . ولصار الحراس الساهرون على الدين أناسا هم أقل الفريقين بالا ، واوهاهما حالا ، فيندحر الدين باندحارهم ، ثم يندلع لهيب الحضارة على آثارهم ، فيقضي على الدين وهو في ريعان الفتوة . ويومئذ نكون كالتى نقضت غزلها من بعد قوة (ولا قدر الله)

لذلك كان حقا علينا أن نكشف عن وجه الدين ليستبين مجلوا ويظهر صافيا كما كان أول عهده فيعلم أهل الحضارة الهوجاء انه لا يناقضها ، ويعلم أهل الدين الحنيف انها لا تنبو عنه بل تأوى الى اصوله ويسكن الى محدثاتها والسبيل الى ذلك أن نقطف النظريات الحديثة اليقينية سواء في ذلك العلوم الكونية مثل علوم الكيمياء والهيئة والحيوان وغيرها كعلوم الاخلاق والنفس ثم نتخذ منها براهين قطعية على ما نريد من التشريع الديني وعلى بيان اعجاز الآيات القرآنية التي نزلت على النبي الامي ، وهذا هو

التوفيق العملي الذي توخيناه ولا شك أن من علم به يعمل على وفقه ليسلم له دينه ويخلو له وجه دنياه فلا يكفر بالآخرة ولا ينسى نصيبه من الدنيا ولما كان يعز علينا اليوم أن نستقصي كل المسائل في هذه العجالة آثرنا أن نذكر منها مايكفل لنا بيان المحجة التي تنتهي بنا الى خير غاية وارجأنا ماوراء ذلك من بقية الى حين . والله هو الموفق والمعين

تمهيد وجيز

قد رأينا سيلا من الحضارة جارفا كاد يقصم ظهر الدين ، وطفقت تنخلع له قلوب قوم مؤمنين ، هطل من الغرب صوبه ، وانساب الى الشرق سيبه ، فاوشك أن يكتسح الايمان من قلوب كثيرة من غيرما مقاومة ولا مخالفة ولا أناة

رأى الناس حضارة مادية تسحر الابصار ، وتسترق الالباب ، فقال اكثرهم : الى عظمة اهلها تنتهي العظمة ، والى معجزات هؤلاء يقف حد الاعجاز ، فشخصوا ابابصارهم مهطعين ، ورنوا الى سماء الحضارة مستشرفين فتاهت اقدامهم في نواحيها ، وجنحت مشاعرهم نحو تقليدهم . فقلدوهم ولكن في أيسر الامور لديهم ، قلدوهم في أقوالهم وهيآتهم وعاداتهم ونحو ذلك مما هو ليس من تلك الحضارة المادية التي بهرتهم ولا هو من اخلاقهم وعادهم التي كانوا عليها ، ولا هو من الحضارة الصحيحة التي أمروا بها

ولكنهم ظنوا أن هنالك تلازما بين كمال الاخلاق ورفعة العادات وبين هذه المخترعات وتلك المحدثات

حسبوا أن من يصنع « منطاداً » عظيما يحلق في الفضاء يكون الهدى

بين برديه ، ومكارم الاخلاق بين جنبيه ، وحسبوا أن من يخترع مدفعا يلقى بالقذيفة تتفجر عن دخان السموم فيختنق به أخوه الانسان من مكان بعيد — حسبوه المثل الاعلى في الاخلاق ، وخيل اليهم أن من استكشف الالوان السبعة « للطيف » يكون اسوة حسنة وقدوة عالية فى كل شيء حتى فيما لاعلم له به من الاخلاق الفضلى ،والصفات الحسنى وحيل بينهم وبين هذا الدين ، بل زعموا أن كل اولئك يجب تقليدهم في كل امر يرضونه هم واعقابهم من بعدهم ، لانهم برهنوا على كفاءتهم في حل المسائل الكونية المادية فكانوا أكفاء لان يقتدى بهم في سواها أيضا

ولا شطط ولا وكس ان قلنا ان مثل هذا التقليد الاعمى لاهل المادة كمثل من يتخذون العجل إلها يعبدونه لانه ذو قوة عظيمة بها يثير الارض ويسقي الحرث ، واين المادة من الاعتقاد ؟ ولكن : الهوى ماتولى يُصم أو يَصم :

فاذا قال قائل الدين (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم) الآية لا يأبهون له ، وتراهم يسمعون وهم عنه مصروفون ولو قال قائل من أهل الحضارة إن علماء الاخلاق الغربيين يحمدون الشجاعة الادبية ويثنون على صاحبها — الذي يقول الحق ولو على نفسه — ثناء عاطراً ، قالوا ان هذا لهو القصص الحق والقول السديد الذي به رقي الافراد وتقدم الامم

واذا قال خطيب المنابر ان الله يقول (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً) رأيت المتجافين عن دينهم من عبدة الغربيين ينغضون رءوسهم ويقولون . هذا تدخل في

الحرية الشخصية . هذا استبداد عظيم . واذا قال متكلم من أهل المدنية أن بعض المصريين (مثلا) قد ربحوا فى القطن حين غلا ثمنه ربحا عظيما ثم أسرفوا وشتتوا شمل ماجمعوا . مع انهم لو نظروا الى أولئك الغربيين الذين سبقونا الى الحكمة والمصلحة الحسنى لوجدوا منهم أعلى مثل في القصد والاعتدال . ولا ترى منهم مبذرا ولا مقترا الا معتدلا مقتصداً والفضل في ذلك لعلماء الاقتصاد بينهم اذا قال ذلك طاروا بقوله فرحا واتخذوا من خلاله اعجابا وثناء مستطابا

واذا انبري للتبشير مرشد من أهل الدين يبين للناس أن كتاب الله خير دستور (قانون) وأن دين الاسلام خير أديان البرية (كالمأثور عن ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم) وانه لو لم يكن دينا لكان في أخلاق الناس حسنا (كما اثر عن اكثم حكيم العرب) : قالوا متعصب لدينه متحيز الي شرعه جامد ليس من أهل الحضارة واذا انبرى لهم امرؤ من أهل المدنية ينطق بالحق لا يبغي به ثمنا ولا يعدل بالصراحة بدلا . قائلا لهم : قال بسمارك الالماني يمدح الاسلام « ان المسلمين تركوا دينهم فذلوا وإن النصارى تركوا دينهم فعزوا » وقال تولستوي فيلسوف روسيا العظيم كيت وكيت يقرظ الاسلام وقال غوستاف لبون فيلسوف فرنسا مثل ذلك ـ اذا قال ذلك ـ رأيت حالهم تبدلت الي حال وغامت وجوههم بسحائب الدهش التى أثارتها تلك الآراء الحديثة الغربية . وخضعوا للحق بعد ماتبين وركعوا للصواب بعد ماتجلى وما جلى غمتهم ولا نقع غلتهم الا شهادة الغربيين

واذا قال واعظ (يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب

والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) قالوا ان لنا في أمم الغرب الاحياء أسوة ولو كان الخمر ضاراً لسبقونا الى تحريمه : ولو قيل نشر في احدى الصحف ان أمريكا حرمت شرب الخمر وان الامم الاوروبية قد أخذت تحذو حذوها قالوا يانعم المصلحون . والله ان الخمر لتذيق الشاربين ضروب الامراض من كأس امشاج . وتجوس خلال الفؤاد مرتها . وتغشي الوجوه شرتها . وتذهب بالحزم ، وتضني أولي العزم ، شاربها فقير ، وصاحبها حسير ، يبتغي الخلاص ، وليس له عنها مناص ، ويرتجي الفرار ، من عارها الشنار ، ويود الهروب ، من حكمها المشئوم ، حتى اذا شربها الذعته ندامتها ، وأنقضت ظهره مرارة عاقبتها ، شهد بذلك الاطباء وجهر به أحكم الحكماء الخ الخ

فلله ياأهل الحضارة ماهذا التحيز ان الحق فذ بين ، هذا القول قول الله ، وذلكم الحكم حكم الله ، نزل على محمد صلى الله عليه وسلم منذ ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن ، ولكن يؤفك عنه من أفك ، ألا فويل للدين منهم ثم ويل لهم من صاحب الدين ؟

وعد بعض العلماء بالتوفيق

سمعت أستاذاً لنا يقول في أواخر سنة ١٩١٨ قبيل الثورة المصرية (قاض بالمحاكم الشرعية الآن) ان عظمة السلطان (الملك فؤادا) زار معهد طنطا وكان مما قيل بين يديه : ياصاحب العظمة إنا ان شاء الله عاملون على التوفيق بين الحضارة والدين : فسررنا إذ ذاك بهذا النبأ الجليل ، وتشوفنا لمشرقه الحميد ، عسى ان يظهر الدين في ثوب قشيب ، فظللنا نرتقب ،

ولبثنا كذلك نتجرع مرارة الانتظار ونتفيأ ظلال الصحف السيارة، علنا نجد ضالتنا المنشودة فما وجدنا لأحد همساً ولا سمعنا الى اليوم نبسا ، فانبعثت نفسي الى الكتابة في هذا الموضوع أملا في استئصال شأفة ذلك التقصير الذي علقت بنا لوثته وقلت: ان جهد المقل غير القليل : وان يشاء الله يحبس على كل قائل قوله ، ويؤت كل ذي فضل فضله

الحضارة

الحضارة لغة ـ الاقامة في الحضر ، عن أبي زيد بالكسر (كسر الحاء) وقال الاصمعي بالفتح (الصحاح) وفي القاموس الحِضارة ويفتح خلاف البادية اه

وقد صارت كلمة الحضارة تطلق عرفا على (١) العلوم والمعارف الحديثة (٢) على الاخلاق والعادات التي عليها أهل الحضر

فالعلوم الحديثة تشمل الكيمياء والطبيعة والهندسة والطب والهيئة (الخ) المؤسسة على أحدث النظريات التي أصبحت معززة بالتجاريب البينة والمشاهدات الصادقة في الارض والسماء ، وبطون البحار وفي طبقات الهواء ، ولا شك ان هذه العلوم أيام بزوغ شمسها في سماء بلاد العرب كانت تركن الى العقل أكثر من ركونها الى البصر لغيبوبة الآلات الحديثة عن أفق العلم يومئذ ، فكان أكثر نظرياتها ظنيا ، فلما أخذها الغربيون وبنوا عليها وشيدوا ، وجددوا وأوجدوا ، ظهرت غير التي كانت ، فاحتك منها بآي القرآن شيء كثير واختلط منها بأحكام الدين ما يجب التأليف بينه وبينها كما سنذكره مفصلا ان شاء الله تعالى

﴿ حاجة الدين الى تلك العلوم ﴾

ان الحكمة الرشيدة تقضي بادخال تلك العلوم في احكام الدين الحنيف كي نستعين بنتائجها المثمرة على فهم حكم الله الذي أراده ونقف على سر مكنون آيات الله المحكمة ، ليزيد الحق تبيانا ، ويزداد القلب ايمانا ، بل ليسير الدين والدنيا معا ، حتى تكون كلمة الله هي العليا . إنا ان فعلنا ذلك نكون قد آوينا بين الدين والحضارة الحديثة ، ووفقنا بينهما توفيقا عمليا تندرج به هاتيك الحضارة الغناء في سلك هذا الشرع الحكيم ، ويصبح الحكم الشرعي درة في تاج تلك القوانين . ويعز الله دينه فوق كل دين (ولله العزة ولرسوله والمؤمنين)

﴿ الاستدلال بنظريات علم الكيمياء ونحوه ﴾

مما لاريب فيه أن نتائج علم الكيمياء اليوم يقينية وكذلك معظم العلوم الحديثة فلا يجوس خلالها الوهم ، ولا ينخر في انحائها الشك ، وربما تركب متن الشطط إن نحن رمينا تجربة من تجاربها العملية بالخطأ ، أو الزيغ عن جادة المعقول . فاذا نظمنا تلك النتائج اليقينية ، في سلسلة مقدمات شرعية ، فاننا نتلقى نتائج شرعية يقينية لامحالة

واذا انبعث القلم بذكر حكم شرعي انتجته تلك المقدمات الصادقة فانما ينبعث بذكر الحق اليقين . واذا استرسل الفؤاد في التفكير الحميد فرجح رأيا على رأي ، أو كشف عن خطأ حكم ، فانما يسترسل في ذكرى سلف صالح من أهل الفضل ، موفوري الكرامة ، ليس للشين في تقوامهم شامة ،

ولا للكذب في دعواهم علامة ....

وإنما نحن ننشد الصواب والدين يحدونا ، والخوف من تيار الحضارة الهوجاء يعلونا ، وكلنا ينزع عن قوس الاخلاص الخالص لرب هذا الدين . فلا تعصب ولا وكس ولا انتقاص ومن ضل عن سبيل الله فقد هوى ، والاعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى

﴿ حكم استخدام النظريات الحديثة في استنباط الاحكام الشرعية ﴾

المراد بالاحكام الشرعية أحكام المسائل التى تتعلق بالدين الاسلامي وترجع الى اصل مقطوع بثبوته عن رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام . فاذا اريد استنباط حكم فرع من آية المحرمات في الزواج مثلا التي لاريب في ثبوتها عن الله ورسوله أمكن استخدام مايتيسر من النظريات المقطوع بصحتها بدون امتراء من علوم الطبيعة والكيمياء وغيرهما لمعرفة حكم الله في ذلك الفرع . وهل يتطرق الى الذهن شك في صحة النتيجة التى تنتجها مقدمات قطعية بالمشاهدة ؟ ولا يخفى أن حكم الله في فرع لم ينص على حكمه بنص قاطع يجب ألا يكون مخالفا لما هو واقع بيقين . وهل بعد رأي العين يقين ؟ وحسبنا أن نقول فوق هذا إن الحس حاكم يهيمن على صحة الاحاديث كلها ، والحديث الذي يخالف الحس يكون مردوداً كما تقرر في موضعه ، أفلا تكون المشاهدة بالتجارب العملية ، حاكما على الفروع الدينية ، ليظهر حكم الله الصحيح في كل منها ويدمغ اليقين طريقة الظن والحدس والتخمين ؟ وهل يصار الى الظن حيث امكن المصير الى اليقين ؟ كلا ان الظن لايغني من الحق شيئا ، بل انما يصار الى الظن ضرورة عند تعذر

اليقين والضرورة تقدر بقدرها. وحينئذ يجب استخدام النظريات الحديثة في الاستنباط وكذلك يسهل علينا الحكم على فرع من الفروع التى استنبط الفقهاء أحكامها عن الظن بأن هذا الاستنباط صواب أو خطأ بيقين ويتبين ذلك فيما يأتي

﴿ نموذج لاستخدام نظريات الكيمياء في الاستنباط المذكور ﴾

قال في فتح القدير (باب الطهارة) اذا اختلط تراب نجس وماء نجس قيل هذا الخليط طاهر لانه صار شيئاً آخر . قال الكمال ابن الهمام وهذا بعيد . فقد اختلف فيما لو كان أحدهما طاهراً ، فقيل العبرة للماء، ان كان نجسا فالطين نجس والا فطاهر . وقيل العبرة للتراب ، وقيل العبرة للغالب ، واكثر الفقهاء على أن أيهما كان طاهراً فالطين طاهر

هكذا اشتبه الحكم على هؤلاء الاعلام رحمهم الله تعالى حتى ذهب بهم الظن الى مناح شتى وآراء متناقضة ، مع اننا لو طبقنا هذه المسألة على قواعد الكيمياء لتبين لنا الحكم اليقين من بين تلك الآراء المختلفة

وبيان ذلك أن الماء والتراب اذا اختلطا ، فاما أن يحدث من اختلاطهما اتحاد كيماوي ، واما أن يحدث مجرد مزج واختلاط ، فان حدث اتحاد ينتج مركبا كيماويا يغاير كلا من الماء والتراب النجسين ، فانه يلزم أن يكون هذا المركب طاهراً ، لان هذا المركب من عنصرين (أحدهما التراب النجس والآخر الماء النجس) اصبح مغايراً لهما في خواصهما وصارت له خواص قائمة به حادثة بعد ان لم تكن له ، والنجاسة كانت في أحدهما أو فيهما فكانت من خواص ما أصابته ، فيكون المركب الحادث مغايراً

لعنصريه في خواصهما ومن بينها النجاسة ، فيكون طاهراً ، ولدل هذا مرمى علة القول الذي قال لانه صار شيئاً آخر وحينئذ فيكون القول بنجاسة هذا المركب مائلا عن الصواب

وأما اذا لم يحصل من اختلاطهما سوى مجرد المزج فالمخلوط الحاصل من الماء والتراب (سواء أكانا نجسين أم كان أحدهما وحده نجسا) نجس بيقين ، لان خواص المخلوط (١) تساوي خواص عناصره جميعا أي يبقى كل من الماء والتراب حافظا خواصه التي كانت له قبل الخلط . وحينئذ فالقول بطهارة هذا الخليط ليس من الصواب فى شيء وقد علمنا ان الخليط من الماء والتراب مخلوط وليس بمركب وبذلك يتجلى الحكم الشرعي الصواب وهو المذكور آخراً

﴿ نموذج لاستخدام نظريات علم الطبيعة في الاستنباط المذكور ﴾

— الظاهرة الاولى —

قال في الفتح أيضا

روي عن أبي يوسف في الدهن ينجس يجعل في اناء ثم يصب عليه الماء فيعلو الدهن فيرفع بشيء هكذا يفعل ثلاثا فيطهر . اه . وهذا فى الدهن السائل كما هو واضح من طريقة التطهير وليست هذه الطريقة الا ظاهرة طبيعية علمت من أن الماء أعظم كثافة من الدهن حتى رسب الماء وطفا الدهن

ولكنا نقول الطريقة المروية عن أبي يوسف مبنية على النظر الى الكثافة

---

(١) والفرق بين الخلط أو المزج وبين الاتحاد أو التركيب الكيماوي مذكور بوضوح في كتاب مبادىء الكيمياء وغيره

وحدها من غير نظر الى الذوبان ولو راعيناه (ويجب علينا ان نراعيه) لتبين لنا ان هذه الطريقة لا تصلح مطهرا وبيان ذلك : ان النجس ان كان لا يذوب في الدهن فلا ينجس الدهن ابداً ومثال ذلك طائفة من ماء نجس وقعت في دهن سائل فانها لا تنجسه لانها تسقط الى القاع بتمامها من غير ان تتخلف ذرة منها خلال الدهن السائل . فيبقى الدهن كأن لم يمر به شيء .

وان كان هذا النجس من الاشياء التي تذوب في الدهن (والماء لا يذوب فيه) فكيف يتسنى للماء ان يأخذ في أثناء رسوبه ذرات النجس من مسام الدهن التي تخللتها تلك الذرات . إذ دخول الماء في مسام الدهن عبارة عن ذوبان الماء في الدهن (١) مع ان الماء لا يذوب في الدهن . وحينئذ فلا تفيد هذه الطريقة في التطهير

بل يمكن تطهير هذا الدهن السائل إن تنجس بشيء مطلقا (سواء أكان يذوب في الدهن أم لا) بفصل النجس من الدهن أو بالمواد الكيمياوية إن أمكن . أو بغلي الدهن حتى تفسد الحرارة تركيب النجس فتطهر ذراته بالاستحالة . وسنبحث هذه الطريقة ـ في الظاهرة التالية ـ بايجاز من جهة اعتبار الشرع ذلك مطهرا

﴿ الظاهرة الثانية ﴾

قال في الفتح أيضا :

وتطهير العسل النجس (الذي وقعت فيه قطرة دم مثلا) على قوله (أي على قول الامام أبي يوسف) ان يصب عليه ماء فيغلي حتى يعود الى

(١) الذوبان هو أن تتخلل جزيئات الجسم المذاب مسام الجسم المذيب

القدر الاول ثلاثا فيطهر اه

وما هذا الا ظاهرة « البخر السريع » (في علم الطبيعة) غير انا وجدنا ان البخار إذا تكاثف صار ماءً خالصا من كل شائبة وهو مايسمي « الماء المقطر » وليس يصعد معه شيء من المواد التي ذابت في مصدره (وهو الماء المغلي) وعلى ذلك فتبقى ذرات قطرة الدم « مثلا » في العسل كما كانت قبل طريقة التقطير مهما كررنا تلك الطريقة . نعم ان البخار المتصاعد طاهر واذا تكاثف صار ماء زلالا ، قراحا طهوراً ، ولكن مصدره باق على حاله

وحينئذ فوضع الماء على العسل وتبخيره ثلاثا لم يذهب عين النجاسة . الا اذا قلنا ان ذلك يفسد تركيب قطرة الدم فتطهر عينها بالاستحالة لا بالازالة . لكن تطهير قطرة الدم بالاستحالة لايحتاج الى هذا الماء كله ولا إلى هذا التكرار ثلاثا ، بل يكفي غليان العسل دقائق معدودة بدون ماء أو مع قليل من الماء ، ولو قيل ان التطهير بالماء ثلاثا أمر تعبدي لقلنا ان الغسل بالبخر لم يرد مطهراً عن الشرع فالقول به عقلي بحت ، فيجب ان نخلي بينه و بين العقل ليحكم عليه بمقتضى التجارب العلمية اليقينية

﴿ الظاهرة الثالثة ﴾

قال في الفتح — فصل المحرمات —

النظر من وراء الزجاج . . . . . محرم بخلاف النظر في المرآة . ولو كانت في الماء فنظر فيه فرأى فيه ثبتت الحرمة ولو كانت على الشط فنظر في الماء فرأى لايحرم (١) كأن العلة والله اعلم أن المرئي في المرآة

(١) أي لايحرم هذا النظر اصول المرأة المنظور اليها وان علون ولا فروعها وان نزلن بل يحل له التزوج باحداهن حينئذ

مثاله لاهو ، وبهذا عللوا الحنث فيما اذا حلف لاينظر الى وجه فلان فنظره في المرآة أو الماء ، وعلى هذا فالتحريم به من وراء الزجاج بناء على نفوذ البصر منه فيرى نفس المرئي بخلاف المرأة والماء (وهذا ينفي كون الابصار من المرآة ومن الماء بواسطة انعكاس الاشعة وإلا لرآه بعينه بل بانطباع مثل الصورة فيهما) بخلاف المرئي في الماء لان البصر ينفذ فيه اذا كان صافيا فيرى نفس مافيه ، وان كان لايراه على الوجه الذي هو عليه ولهذا كان له الخيار اذا اشترى سمكة رآها في ماء بحيث تؤخذ منه بلا حيلة وتحقيق سبب اختلاف المرئي فيه في فن آخر اه

هذا كلام الكمال بن الهمام وهذا استنباطه وتعليله وكله مبني على ماتقرر في نظريات الضوء من انعكاس الاشعة وانكسارها وترتب على ذلك التعليل الطبعى (١) فهم الحكم الشرعي في ثلاث من المسائل الهامة (أولاها) مسألة التحريم بالنظر في المرآة أو الماء أو عدم التحريم وذلك في باب الزواج (وثانيتها) مسألة الحنث أو عدمه فيما لو حلف لاينظر الى وجه فلان مثلا فرآه فى المرآة والماء ، وذلك في كتاب الايمان (والثالثة) ثبوت الخيار أو عدمه فيما لو اشترى سمكة في الماء « مثلا » بحيث رآها فيه فقط وذلك من كتاب البيع

غير أن صاحب الفتح رحمه الله أراد أن يذكر وجه الفرق بين ثبوت التحريم في حالة رؤية المرئي في الماء وبين عدم ثبوت التحريم في حالة الرؤية من المرآة أو سطح الماء (٢) فقال « وهذا ينفي كون الابصار من المرآة ومن الماء بواسطة انعكاس الاشعة وإلا لرآه بعينه بل بانطباع

(١) نسبة الى (علم) الطبيعة (٢) أى رؤية الصورة على سطح الماء

مثل الصورة فيهما »

ومعنى هذا انه لو ثبت (ولم ينتف) كون الابصار من المرآة ومن سطح الماء بواسطة انعكاس الاشعة لرآه بعينه ، وينبني على ذلك ثبوت التحريم في حالة النظر الى المرآة والى سطح الماء

ولكنا أخذنا في نظريات انعكاس الاشعة أن سطح المرآة وكل معدن مصقول اذا وقعت عليه الاشعة فانه يعكسها والمراد من الاشعة المنعكسة هي أشعة الجسم المرئي وهي التي تقع على سطح المرآة أو الماء ، وهذان السطحان يعكسان الاشعة المذكورة حتى تقع على شبكية العين

واذا ثبت أن المرآة تعكس الاشعة المذكورة فلا يترتب عليه رؤية المرئي بعينه بل رؤية صورته التقديرية (في المرآة المستوية)

وأما قول الكمال بن الهمام وإلا لرآه بعينه (١) فمعناه وان لم ينتف كون الابصار من المرآة بواسطة انعكاس الاشعة رآه بعينه وهذا لا يتأتى إلا إذا قلنا إن المراد من الاشعة المنعكسة هي أشعة البصر التي تنبعث عند ابصار الشيء (٢) وذلك ماكان يعتقده قدماء اليونان وقد دونوه في فلسفتهم ثم أخذه العرب عنهم في قوانين علوم الطبيعة والكيمياء الخ

وأما ما ثبت اليوم بالتجارب اليقينية فهو أن العين لا ينبعث منها شعاع الى المرئي (وانظر ماقاله بعض العلماء في سبب تأثير العائن في المعيون) بل تقع أشعة متفرقات على شبيكة العين (الحدقة) بعد انعكاسها على المرئيات أو عليها ثم على المرآة

---

(١) فيه دخول اللام على جواب أن الشرطية المدغمة في لا . وتصحيحه وإلا رآه بعينه (٢) ثم تنعكس على المرآة حتى تقع على المرئي فيراه بعينه هذا مراده

جاء فى كتاب خلاصة الطبيعة ، الجزء الخامس فى الضوء صفحة (٤٥) وقد يطلق على انعكاس الضوء من السطوح المصقولة كسطح المرآة والمعادن المجلوة والزئبق اسم الانعكاس المنتظم ..... ويطلق انعكاسه من السطوح الغير المصقولة كسطح الورق والماء المضطرب اسم الانعكاس الغير المنتظم أو تفرق الضوء فى جميع الجهات . ويتوقف على هذا الاخير رؤية الاجسام كالأشجار والمنازل وغيرها اذا ماسقطت عليها أشعة منبع ضوئي كضوء الشمس اه ولهذا لا ترى الأجسام فى الظلام الحالك

وعلى ذلك فالعلة التى ذكرها للفرق الآنف ذكره غير صحيح كما لما ذكرنا ولكن الحكم الذي بناه على وجود فرق بين الحالتين حكم صحيح لانه موافق لاكثر العلة التى ساقها وهذا الاكثر مطابق لما قرأناه فى تلك الكتب الحديثة وهو ماعدا المذكور بين القوسين في كلامه ، وإن هنالك فرقا حقا بين الحالتين فترتب على وجوده وجود الفرق في الحكم كما بينه

وهذا الفرق هو أن المرئي في المرآة بواسطة انعكاس الأشعة صورة المرئي التقديرية (١) لاعينه وأما المرئي في داخل الماء فهو عين الشخص المرئي لاصورته لكن بعد انكسار الاشعة فيراه بعينه

قال في كتاب الضوء أيضا صفحة (٥٢) — الصور —

نعلم اننا اذا وجهنا نظرنا نحو مصدر ضوء نراه وذلك لسقوط أشعته على العين مباشرة أما اذا نظرنا الى سطح مرآة قد وضع أمامها وعلى بعد منها هذا المصدر بحيث لايتسنى للعين رؤيته مباشرة فان الأشعة التى تستقبلها العين بعد انعكاسها من سطح المرآة ترى كأنها صادرة (متفرقة)

(١) وفي كلام الكمال ان المرئي فيها هو مثل صورة الشيء

من مصدر يشابه المصدر الأصلي تماما خلف المرآة وقد يطلق على هذ المصدر الأخير اسم « الصورة » ولما كان يخيل الينا فى هذه الحالة أن الأشعة صادرة من منبع خلف المرآة فهي لذلك تسمى صورة تقديرية الخ اه

وأما المرئي في الماء فهو واضح التعليل في الباب الخامس ـ انكسار الضوء ـ صفحة ١٠٦ من الكتاب المذكور ، فلا داعي للتطويل

﴿ نموذج لاستخدام نظريات علم الهندسة في الاستنباط المذكور ﴾

قال في الفتح ـ كتاب الصلاة ـ استقبال القبلة

وفى الفتاوى الانحراف المفسد أن يجاوز المشارق الى المغارب اه ومثله في كثير من كتب الحنفية

ومعناه كما قالوا أن تصح صلاة من كان فرضه استقبال جهة الكعبة اذا استقبل أي جهة إلا فى صورة واحدة وهي ما اذا استقبل جهة المغرب وكانت قبلته جهة المشرق ففي هذه الحالة فقط تكون الصلاة باطلة

وتعليل ذلك كما في الطحطاوى (حاشية مراقي الفلاح شرح نور الايضاح) وغيره أن المصلي يعتبر مستقبلا القبلة (فيما لو كان فرضه استقبال جهتها لاعينها) اذا كان بحيث لو مد خط عمودى على جبين المصلي لكان قاطعا لاحد أضلاع الكعبة أو لامتداده وفى كل الصور يكون مستقبلا القبلة حينئذ الا فى الصورة المستثناة لانه فى هذه الصورة لا يكون العمود على جبين المصلي قاطعا لاحد أضلاع الكعبة ولا لامتداده بحال وفيما عدا هذه الصورة يكون العمود قاطعا الخ

هذا معنى تلك النصوص وهذا تعليلها

ولكنا لو رجعنا الى بعض قوانين الهندسة لوجدنا أن هنالك صورة بجانب تلك الصورة تكون الصلاة فيها باطلة بيقين ولا يكون المصلي فيها مستقبلا القبلة ولا يكون العمود على جبينه قاطعا لأحد اضلاع الكعبة ولا لامتداده بل يكون ذلك العمود على جبينه موازيا لأحد اضلاع الكعبة ولامتداده ولا يتلاقى مع الاخرى ولا شك أن المتوازيين لا يتلاقيان أبدا مهما امتدا (بدهية بلا يفير)

واذا كان العمود وأحد الاضلاع (أو امتداده) لا يتلاقيان فلا يتقاطعان (بدهية أيضا) فلا يعتبر المصلي حينئذ مستقبلا القبلة ويكون المستثني من الكلام الآنف صورتان لا صورة واحدة ، وتكون الصلاة فيهما باطلة بيقين على سواء

وتصور ذلك يسهل بتطبيقه على رسم هندسي تقريبي

﴿ البرهان الهندسي والاستدلال الشرعي ﴾

ياحبذا لو أن الفقهاء في استدلالهم نسجوا على منوال البرهان الهندسي وأنه للبرهان المنطقي المفصل (١)

وياسعادة القاريء لو أنهم تركوا سبيل لف المقدمات وادماجها في قالب مبهم ليسلكوا سبيل التعمية على الخصم ويضل منه الفؤاد في ثنايا القول فلا يكاد يدري من اين يؤتي الدليل ولا يستقيم له استنباط

---

(١) فالمنطقي يتألف من مقدمتين تنتجان نتيجة والهندسي يشرح المقدمتين بمقدمات

الحق الصريح من بعد ذلك الأرغاء والازباد

قد كاد يصير الحق صريع التعصب وينتعش الخطأ، وينكمش الصواب وهنالك تظهر على كثير من الادلة سمي السفسطة يتغشاها القول بأحقاق الحق وأزهاق الباطل ولو أنصفوا شرع الله وأنصفوا الحق لابتغوا الخلاص من التعصب واطرحوا من التحيز ما أنقض ظهر الصواب، وشرحوا الدليل شرحا مفصلا حتى ينكشف ستاره، ويبين للعين مقداره. فان خلا من العيب والعقم أخذنا بناصره، وعملنا بمقتضاه، وقلنا ذلكم حكم الله. وان لم يسلس للحق قياده طوينا عنه كشحا وضربنا عنه الذكر صفحا وقلنا

خل سبيل من وهى سقاؤه ومن هُريق بالفلاة ماؤه

وخير طرق الاستدلال هو الاستدلال الهندسي وذلك كما يأتي

الفرض تكبيرة الاحرام في الصلاة

الدعوى « « شرط وليست بركن (عند الحنفية) (١)

السند (العمل) قال تعالى (وذكر اسم ربه فصلى) وقال عليه السلام « تحريمها التكبير وتحليلها التسليم »

البرهان بما أن الآية تفيد ترتب الصلاة على ذكر اسم الله بالفاء (قاعدة لغوية)

وبما أن في تكبيرة الاحرام ذكر اسم الله

وبما أن الصلاة مترتبة على تكبيرة الاحرام «بالعطف بالفاء»

وبما أن العطف يقتضي المغايرة (قاعدة نحوية)

اذاً تكبيرة الاحرام تغاير الصلاة

---

(١) الهداية باب صفة الصلاة

وبما أن الشرط هو ما كان خارجا عن الماهية والركن ما كان داخلا فيها

(قاعدة اصولية)

وبما أن الشرط هو ما توقفت عليه صحة الشيء (قاعدة اصولية)

وبما أن الحديث يفيد غلبة الظن الموجبة للعمل به (قاعدة اصولية)

وبما أن ما وجب العمل به توقفت الصحة على عمله

إذاً تكبيرة الاحرام شرط وليست بركن من أركان الصلاة وهو المطلوب

فلينظر القارىء الى الدليل كيف تجلى والى المقدمات كيف انبنى بعضها على بعض وقد أخذ بعضها بحجز بعض لا تلوى على شيء حتى تستقر في الفؤاد وتصبح بمفازة من الأبهام ولينقد الناقد كما يشاء

﴿ نموذج لاستخدام نظريات الجغرافيا الطبعية ﴾

« في فهم الآيات القرآنية على وجهها »

مما ثبت في علم الجغرافيا أن الارض كانت جزءاً من الشمس ثم انفصلت لاسباب غير معروفة والدليل على ذلك وجود حرارة عظيمة في جوف الارض تصهر المعادن التي لا تنصهر إلا بحرارة عظمى وتنبعث من باطنها فوارات الماء الحميم مثل ماكان في طوفان نوح عليه السلام (حتى اذا جاء امرنا وفار التنور) (١) فهذا يرشدنا الى أن الشمس والارض كانتا جزءاً واحداً وكذلك الحال بين الشمس والنجوم ولذلك يقول الله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما (٢))

---

(١) أي جوف الارض الحار (كذا في بعض التفسيرات) (٢) والمراد من السموات كما سيأتي في طبقات الكواكب المتفاوتة في البعد عن الارض . وبنينا فوقكم سبعا شدادا . سبع سموات طباقا (والرتق ضد الفتق)

أي فصل الله تعالى الارض عن السماء ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات

﴿ الارض مثل الكرة ﴾

قال تعالى (والارض مددناها) (الم نجعل الارض مهادا) (الذي جعل لكم الارض فراشا) ونحو ذلك من الآيات الشريفة ...

لو كانت الارض مسطحة ماكان لامتنانه تعالى على عباده وقع في النفوس واظهار للفضل مثل مالو امتن عليهم بأنها مع (كونها كرية الشكل) صالحة لمعاشكم . ومع كونها محدودية فقد جعلها لكم ذلولا فامشوا في مناكبها آمنين على ظهرها لاتخافون قلقا ولا اضطرابا . ومهما سرتم فلن تجدوا لها آخراً ، فقد مددناها امامكم فلا تعترضكم نهايتها ولا نهاية لها

وأما الجسم المسطح فلا يكون موضع امتنان عليهم بأنه ممهد لان هذا شأن السطح ثم ان لكل سطح نهاية وآخراً من كل جانب فحيثما توغل السائر في ناحية منه وجد آخر فينقلب على عقبيه ويرتد على آثاره قصصا

ثم ان الله يقول (فامشوا في مناكبها) بدون أن يحذرهم من المشي في أطرافها (ان كانت مسطحة) فهذا دليل يصدع بأن الارض لاأطراف لها والاطراف لازم من لازمات المسطح ونفي اللازم وهو الاطراف يستلزم نفي الملزوم لامحالة والملزوم هو السطح

اذاً فالارض كرة وليست بمسطح وهو المطلوب

قد يقال كيف تنتفي الاطراف والله أثبتها في قوله تعالى (أولم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من اطرافها أفهم الغالبون)

والجواب أن أل في الارض للجنس يعني أي ارض سواء أكانت ارض الجزيرة أم ارض أفريقيـة أم سواهما : أو أل للعهد الذهني أي الارض المعهودة لهم وهي ارض الجزيرة وهي التي يرونها ويرون نقصها من اطرافها ولهذا قال (أو لم يروا أنا نأتي الارض) الخ : وانما تنقص الارض من أطرافها اذا كان البحر يأكل من الشواطيء وذلك مشاهد لكل من يرى (ولذلك تبني الشواطيء بالاحجار حتى لا تأكلها البحار) . أي انهم مهددون بالاخطار ولولا رحمة الله عليهم لذهب بهم وبارضهم أفهم الغالبون ؟ ويؤيد ذلك قوله تعالى (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر) والبر مقابل البحر ، وشاطيء البحر بر ومنه (فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون)

﴿ الارض متحركة ﴾

الارض تدور حول محورها دورتها اليومية وهي التي ينشأ منها الليل والنهار ، ولكنا لا نشعر بحركتها ولا نحس بدورتها بل نحس بسكونها والسبب فى ذلك التحرك بهدوء ساكن وجود الرواسي على متنها فكأن الجبال أوتاد اذ تمنع الارض من الحركة السريعة المزعجة ولكنها لا تمنعها من حركتها الهادئة (ولا شك ان الوتد للدابة لا يمنعها من مطلق التحرك ولكن يمنعها من الحركة التي تؤدي الى هروبها وضياعها) ولو لم تكن على الارض تلك الرواسي لتحركت بمن عليها حركة نحس بها ونتوى منها لذلك يقول الله تعالى (وألقى في الارض رواسي ان تميد بكم) فتكون النتيجة ان الارض متحركة وهو المطلوب

الامطار

(انظر الى آراء الفلاسفة الحكماء والمعتزلة. وأهل السنة والأشاعرة (١) ثم انظر الى كلام الوحي الأمين)

قال العلامة السجاعي في حاشيته على شرح القطر (في علم النحو) عند تفسيره قول الشاعر الذي يصف السحاب

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج

وهذا مبني على ماقيل من أن السحاب في بعض الأماكن يدنو من البحر فيمتد منه خراطيم عظيمة تشرب من مائه فيكون لها صوت شديد مزعج ثم تذهب صاعدة الى الجو فيلطف ذلك الماء ويعذب باذن الله تعالى في زمن صعودها والى هذا يشير بعضهم حيث يقول معتذراً عن هدية ارسل بها الى مخدومه

كالبحر يمطره السحاب وماله فضل عليه لانه من مائه

قلت (القائل العلامة السجاعي أيضا) وهذا مذهب الحكماء والمعتزلة وهو مخالف لمذهب أهل السنة والاشاعرة فقد قال العلامة اللقاني في شرح جوهرية أن الاحاديث دلت على أن (الى هنا يسبق الى الذهن انه يريد أن يأتي على قول المعتزلة والحكماء لانه خطأ ويجيء لاهل السنة بالمعقول الحق معضداً بالمنقول فاذا هو قد زاد الطين بلة وجاء ضغثا على ابالة اذ قال) : دلت على أن : السحاب ينشأ من شجرة مثمرة في الجنة والمطر من بحر تحت العرش : اه سجاعي

---

(١) الاشاعرة من أهل السنة ولكن هذه الترجمة منقولة وفق ماخطه السجاعي وسيأتي

وهذه آراء العلماء الفطاحل وهذه نهاية ما وصل اليه أساطين الفلاسفة بعد طول البحث والتدقيق وسعة الاطلاع . ولملك ترى ذلك منهم عجيبا بعيداً ، وستمر بك الآن طائفة من الآيات القرآنية التي أنزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك ، ثم تبصر هل مثل هذا القول المطابق لما شوهد بالابصار بعد قرون كثيرة يستطيع أن يخبر بامثاله عربي أمي في تلك العصور المسودة من تلقاء نفسه ؟؟؟؟

ومن هذا يستبين لنا أن ما يتداوله العامة اليوم على السنتهم من مثل هاتيك الخزعبيلات انما مصدره بعض العلماء من أهل السنة أو سواهم ، اذ يعدلون عن كتاب الله الي حديث ضعيف أو خبر ليس هناك ، ثم يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، والله ورسوله من مثل هذا برآء ، بل ما عند الله هو قوله تعالى: —

(والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور)

فقوله تعالى (تثير سحابا) دليل ينطق بأن المثير للسحب والذي يستحثها من مكامنها هو الرياح وهي التي تحملها وتقلها كقوله تعالى (حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه) الآية

وهذا المرقوم منذ قرون عديدة والناس عنه غافلون هو أحدث النظريات اليوم وأصحها وأعزها برهانا وانضرها بيانا

وبهذا ينهار قول الحكماء والمعتزلة ويذوي قول بعض أهل الاثر والاشاعرة ، وسلم قول الله ورسوله . وصدق الله ورسوله

ان الرياح تثير بخار الماء المتصاعد من المحيطات والانهار والبحيرات

والغدران الخ كما، تثير الغبار أحيانا، ولما كان البخار غازاً من الغازات : (دخانا) كانت إثارة الرياح إياه مما تجعله اشتاتا يذهب مذاهب متفرقة لا يلوي بعضه على بعض وينفر بعضه من بعض : كما هو طبيعة الغازات لهذا قال تعالى في آية اخرى (ثم يؤلف بينه) فيجعل بعضه يجنح الى بعض ويجمع شمله بقدرته وفضل فيضه ومنته :

وقد عرفنا أن قطرة الماء اذا تبخرت صار حجم بخارها يربو على حجم القطرة عينها اضعافا كثيرة ـ كما ثبت في علم الكيمياء ـ وعلى ذلك فالسحاب اذا كان خفيفا وتكاثف : فامطر كان رذاذا فلا يحيي موانا، ولا يخرج نباتا . لهذا امتن الله على عباده بقوله (ثم يجعله ركاما) اذا امطر عمر الوديان، واذا انهمر غمر الغدران (فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذاهم يستبشرون) وقد سيقت آيات الامطار في القرآن لاجل قياس احياء الموتى الذي لا نشاهده على ماشهدناه من إحياء الارض بعد موتها حين الغيث (فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها، ان ذلك لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير)

قد يقال اذا كان المطر هو بخار الماء يتكاثف ويبرد فكيف يلتئم مع هذا قوله تعالى (أنا صببنا الماء صبا)

والوجه ان هذا اسناد الي الفاعل الظاهر منه الفعل ليبين انه مصدر كل نعمة، وان كان لوجودها أسباب اقتضتها حكمته . وهذا الاسناد يضاهي الاسناد في قول من يقول صببت الماء من الكوز فانه لم يصب الماء ولكن الماء هو الذي انسكب وانما ذلك الشخص هو الذي هيأ له السبب ومنع المانع فأمال الكوز ومن طبيعة الماء التي فطره الله عليها

أن يأخذ سطحا مستويا - كما في علم الطبيعة - لا ترى فيه عوجا ولا أمتا ، فاذا اميل الكوز قليلا استوى سطح مائه حتى اذا تطرف بعضه ولم يجد حاجزا سقط على الارض فيقول صببت الماء من اسناد الفعل الى السبب كذلك الآية الشريفة ونحوها

نموذج

﴿ لاستخدام نظريات علم الهيئة الحديثة ﴾

في فهم الآيات القرآنية على وجهها

لقد اصبحت دوحة هذا العلم في الشرق ذابلة بعد ان كانت مورقة وارفة الظلال بينما اينعت اغصانها في الغرب وأصبحت دوحات ذوات افنان تملأ فضاء عظيما في سماء العلوم القيمة التي يحسب لها حساب في الحل والترحال

إن علم الهيئة اجدر بعلمائنا أن يتعرفوه ، وبعامتنا أن يتذوقوه وخليق بنا أن نجعله فرعا من فروع التوحيد كما أمرنا الله ورسوله (قل انظروا ماذا في السموات والارض ؟؟؟ أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض ؟؟) وحقا إنه السبيل الذي تتمثل فيه عظمة الالوهية وجلال القدرة وهو السبيل الهادي الى التوحيد الخالص . ولهذا كان التفكير فى هذا الملكوت الرائع أول شيء بديء به سيدنا ابراهيم عليه السلام حين أراد الله بعثه لعباده اذ يقول الله تعالى وجلت حكمته فى سورة الانعام (وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين * فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب

الافلين* فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال — لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين * فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر ، فلما أفلت قال ياقوم إني بريء مما تشركون* انى وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين)

وكذلك يقول الله مميزا لاولي الالباب بالتفكير فى هذا الخلق : (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب* الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك)

﴿ السموات السبع ﴾

يقول بعض العلماء اليوم إن المشاهدة : بواسطة المراصد الفلكية : قد أثبتت أن هذه القبة المضروبة فوق سطح الكرة الارضية فضاء لم يستطع الانسان أن يدرك له نهاية، بل عاين بالآلات نجوما وشموسا وسدما لاعداد لها، مختلفة في بروجها متباينة في حجومها، وهنالك مذنبات ذات اذيال ضافية ، وافلاك مترامية ، وهنالك كواكب أعظم حجما من الشمس حتى لاتكاد هذه الشمس تذكر بجانبها(١) وهنالك نجوم تتم دورتها كل مائة سنة ، ومنها مايتم دورته كل ألف سنة ومنها مايتمها كل مائة وألفي سنة، ومنها مايتمها كل ثلاثة الاف سنة ومنها مايتمها كل مائة ألف(٢) سنة

(١) أثبت العلماء ان هنالك كوكبا عظيما رابضا في برج بعيد يجذب اليه المجموعة الشمسية

(٢) يشير الى شيء من هذا قوله تعالى : تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة

وقد عرف العلماء ذلك بواسطة حساب المثلثات الكرية (١)

ويقول العلماء انما يتخلل هذا الفضاء بين تلك الكواكب شيء خاص (يملأ هذا الفضاء ويتخلل جزئيات الاجسام عظيم المرونة يختلف عن كل مانعلمه من أنواع المادة) يسمى ـ الاثير ـ

غير انه جاء في بعض روايات ضعيفة : لحديث المعراج : مايدل على أن السموات السبع بعضها من حديد وبعضها من نحاس وبعضها من فضة وبعضها من ذهب . الى غير ذلك مما لم يثبته عقل ، ولا نقل صحيح . بل العقل يبطله ، والنقل الصحيح لم يتعرض له ، اذ لو كانت السماء الاولى والثانية والثالثة من حديد ونحاس وفضة والشمس في السماء الرابعة (كما جاء في نفس هذه الروايات) ماوصلت الينا أشعة الشمس الوهاجة بل لحجبت هذه الطبقات الكثيفة رؤية ماوراء الشمس من الكواكب البعيدة جدا كالكوكب الذي يتم دورته في فلكه كل مائة ألف سنة مرة وقد رؤي بالمجهر العظيم بالرغم من هذه الاضاليل المخزية وإن الدين بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب

لاغلو ان قلنا ان آراء علماء الهيئة اليوم قد فصلت لنا ماكان مجملا في الكتاب العزيز من آيات الارض والسموات والذي نستخلصه من كتاب الله ويعززه كلام علماء الهيئة توضيحا وتفصيلا مما يختص بالسموات والارض هو مايأتي

السموات والارض كانتا شيئا واحدا ففتقتهما يد القدرة الآلهية

---

(١) كما جاء في العدد — ١٤١٣٦ من جريدة الاهرام تحت عنوان رد على سؤال فلكي

فانفصلت الارض عن السماء و بقيت الارض مباركا فيهامقدرة لهاأقواتها وهي غير منظمة (كما يفهم من تفسير جار الله الزمخشري)ثم إن الله استوى الى السماء وهي دخان فسواها سبعاوأغطش ليلهاوأخرج ضحاهاوالارض بعد ذلك دحاها : ونظمها . أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها

وبهذا اندفع التعارض الذي كان يفهم لأول وهلة بين آية فصلت(١) التي تفيد أن الله استوى الى السماء بعد خلق الارض وبين آية والنازعات (٢) التي تفيد أن الله خلق السماء قبل الارض ومعنى تسوية السماء كما قال تعالى (رفع سمكها فسواها) انه جعلها مثل السقف (وجعلنا السماء سقفامحفوظا) لاترى فيها فرجة شأن السقف (وزيناها ومالها من فروج) ولا ترى فيها شقوق (فارجع البصر هل ترى من فطور) وكل ذلك تمثيل للناظرين، وتقريب للفاهمين، والله تعالى شبه السماء بالسقف وله المثل الاعلى والشاعر يشبهها بالبساط

وكان أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

ولا غبار على شيء من ذلك وتشبيه السماء بالسقف من باب التشبيه البليغ مثل: زيد أسد. وعلى ذلك فالسموات السبع الطباق هي النجوم فى

---

(١) هي (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له انداد ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا اوكرها قالتا أتينا طائعين)

(٢) أأنتم اشد خلقا أم السماء؟ بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والارض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها)

بروجها والله جعلها طبقات بعضها فوق بعض ولا يعلم الفاصل بين كل طبقتين منها الا الله ولم يرد نص قاطع عن صاحب الشرع فى ذلك ولم يتوصل علماء الهيئة لذلك الى الآن ولكن فى كلامهم ما يشف عنه ومن العسير جدا : ان لم يكن محالا : أن تدرك حدود غير محسة فى فضاء عميق سحيق لمن كان فى مركز لتلك الطبقات (فان الارض كمركز مشترك لمحيطات الطبقات الدائرية) .....

لذلك يقول الله تعالى (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) والله اعلم بحدود كل طبقة وهو الذي يعلم عدد نجوم كل طبقة فانه تعالى أحصى كل شيء عددا .

ثم ان الله يقول : (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) (١) وبناؤها رصفها واحكام ترتيبها كالبنيان المرصرص . وكونها شدادا أي ليست رخاء حتى يختلط نظام الكواكب ويختل توازنها فتنزل عن أفلاكها وتخرج عن طبقتها كقوله (لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر) الآية اذ بنيان البيت لا يوصف بالشدة الا إذا كان كل حجر في مستقره ، وكل جدار قائم فوق أساسه ، ولو وقعت الحوائط بعضها على بعض لكان البناء واهيا غير شديد . ويشير الى هذا قوله تعالى (ويمسك السماء ان تقع على الارض) الآية

---

(١) والدليل على انها نجوم بينها فضاء قوله تعالى (انظروا ماذا في السموات) والنظر بالعين . والسموات : بلفظ الجمع يشمل السبع الطباق ولا تنظر ماهو مظروف فيها كلها الا اذا كانت توافق طبيعة اعيننا وذلك بعدم الحائل بيننا وبين النجوم

﴿ الجذب العام بين الارض والسموات العلا ﴾

ان الذي كشف الغمة عن هذه النظرية هو العالم الانجليزي اسحاق نيوتن من علماء القرن الثامن عشر وستمر بك ضمن الكلام الآتي ﴿ متى الساعة ؟ وكيف تكون ؟ ﴾

ومما يفهم من تلك النظرية ان الكواكب كلها خاضعة لنظام الجاذبية وعليها يتوقف سير الكواكب فى أفلاكها سيراً محكما ولو اختل نظام الجذب شيئا قليلا بين كوكبين لوقع أصغرهما على أكبرهما حجما فيصرع أحدهما الآخر ويحطمه أي تحطيم . وكذلك يقال بين الارض وما حولها من الاجرام السماوية النارية . وكثيراً ما تهددت الارض نجوم أوشكت أن تصدمها صدمة يختل لها نظام التوازن بين السموات والارض، فتبدل الارض غير الارض والسموات، ويصعق من فيهن الا من شاء الله، وتنشق الكواكب بعضها على بعض (اذا السماء انشقت ، وأذنت لربها وحقت ، واذا الارض مدت ، وألقت مافيها وتخلت) وقد يخيم بعض علماء الفلك والهيئة نفسه حين توقع شيئا من ذلك الصراع بين الارض والسموات فراراً من هول تلك الواقعة التي إذا وقعت (ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة، اذا رجت الارض رجا، وبست الجبال بسا، فكانت هباءً منبثا) الآية. وما عهدنا من سنة ١٩١٠ ببعيد حين ظهر النجم الهائل «مذنب هالي» وأن الذاكرة لتوافينا بالخوف الذي استولى على بعض العلماء يومئذ حين رأوه قريبا منهم وظنوا انه واقع بهم، ولكن الله سلم، ولن تقع السماء على الارض الا بأمره فهو الذي يقول (ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه)

وقال في آية أخرى (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده)

فاذا أذن الله بذلك كان هول الساعة (ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) ولهذا فر بعض العلماء من هوله الى الموت ولو أنصفوا أنفسهم لفروا الى الله (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها ، قل انما علمها عند ربي ، لا يجليها لوقتها الا هو ، ثقلت في السموات والارض ، لا تأتيكم الا بغتة) ويشير الى نظرية الجذب العام الآنفة قوله تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها) فقوله بغير عمد ترونها يقتضي نفي العمد المقيدة بقيد رؤيتنا اياها ، وعلى ذلك فلا يقتضي نفي العمد التي ليست بمرئية لنا وهي (كالقوة المغناطيسية) التي يعبر بها عن الجذب بين الكواكب وكما ان العمد المحسة تمنع وقوع ماعليها على الارض كذلك قوة الجذب تمنع من وقوع السماء على الارض فكانت عمدا .

ومعنى وقوع السماء على الارض جذب الارض اياها لا أن وقوع الحجر (مثلا) على الارض انما هو أثر جذبها اياه فلهذا استقام التعبير عن جذب الارض السماء بوقوع السماء عليها

ثم إن قوله تعالى (ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده) دليل على أن السموات والارض في فضاء عظيم يحيط بهما (وهو ما قدمنا بيانه) وأن لكل فلكا تسبح فيه بنظامها الذي أمسكها الله عليه فلن يزول شيء من السموات والارض عن فلكه الذي رسمه الله له ولو زال عن دائرة فلكه نجم أو شمس أو الارض باختلال الجذب لانفلت كما ينفلت الحجر من المقلاع

فلا يلوى على شيء ولا يستطيع أن يرده ويمسكه بعد زواله عن فلكه إلا الله وحده (ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده) جلت قدرته وتعالت حكمته

﴿ ملحوظة ذات بال ﴾

لسنا في حاجة شديدة الى بيان قصور قول بعض العلماء المسلمين : وهو أن السموات السبع التي ورد ذكرها في القرآن هي : المشتري، والمريخ ، والزهرة ،وعطارد الخ المجموعة الشمسية . . . وذلك لان السماء هي : ماعلاك فأظلك : ولا شك أن نجم المشتري أو المريخ الخ عال فوق الارض حقا ولكنه لايظلها أبداً وكيف يستقيم عقلا أن كوكبا بلغ به البعد عن الارض حتى اصبح يرى قدر الدينار (والجنيه) يُظل الارض حتى يقال انه سماء لها ؟ ؟ ثم ماحكمة تخصيص نجم هو مختلط مع النجوم التي لاعداد لها بأنه سماء ولا ميزة له إلا انه من المجموعة الشمسية .ولو لمسنا كبد الصواب لتبين لنا مصرع هذا القول أمام الواقع الذي شرحه كتاب الله إذ مقتضى هذا القول أن تكون الشمس اعظم شأنا من السموات التي هي النجوم السبعة لانها توابع للشمس ولا مرية فى أن الحقيقة الثابتة هي كذلك . . . ولكن ماجاء في الكتاب العزيز ينطق بأن السموات التي أرادها اعظم من الشمس بمراحل بل النسبة بينهما كالنسبة بين منزل ذي طبقات سبع وبين سراج موقد فيه ، هو وهاج الضوء ، اذ يقول الله تعالى (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجا) (١) ويقال (وبنينا فوقكم سبعا شداداً ، وجعلنا سراجا

(١) والظرف محذوف من الثاني لدلالة الاول عليه لانه يغتفر في الثواني مالا يغتفر في الاوائل. والتقدير فيهن لانه صرح به في آية الفرقان (وجعل فيها سراجا)

وهاجا) وقال (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا)

وعلى ذلك يكون الصواب مقدما برهانه من أن السموات الطباق هي النجوم بأسرها منتسمة في نظامها الى سبع طبقات فالسماء الدنيا هي أقرب الطبقات الى الارض ويطلق عليها سماء اطلاقا سماويا باعتبار أن الطبقة تعلو الارض وتظلها أي اظلال اذ ترى في تضام نجومها وتصافها كالقبة المضروبة على سطح الارض وعند نهاية الافق يلتقي طنبها بالارض في رأي العين . . . . . ثم لو سلمنا صحة القول الاول وفرضنا أن السماء الدنيا هي نجم المشتري مثلا فكيف يستقيم لنا ذلك مع قوله تعالى (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) اذ تكون النتيجة وزينا النجم بنجوم وهل يعقل أن هذا هو المراد من هذه الآية الشريفة مع أن في هذه النجوم ما هو اعظم شأنا فكيف يكون زينة لما هو أقل منه حجما وقدرا . وأما على الرأي الثاني فالمراد من الآية ظاهر ويحمل على التشبيه أي السماء التي هي النجوم مزينة بمصابيح أي شموس لانه تعالى اطلق على الشمس المعهودة اسم سراج والسراج والمصباح واحد وقد اثبت العلماء أن هنالك شموسا لا تعداد لها فتكون في أول طبقة وتكون الطبقة الثانية وراء ذلك ثم تكون باقي الطبقات في هذا الفضاء العميق الذي لا تدرك عقول البشر له آخرا وبمثل هذا تكون عظمة الخالق وجلال الخالق

قد يقال إن مقتضى كون الشمس سراجا وهاجا في السموات أن تستنير بها جميع الطبقات السماوية حتى الطبقة السابعة وهي مما لم تتصور عقولنا مقدار بعدها عنا وهذا قادح في الرأي الثاني والجواب انه لا يلزم من كون الشمس سراجا وهاجا موضوعا في السموات أن تستنير به

جميعها فان الآية لم تصرح باكثر من قوله تعالى (وجعلنا سراجاوهاجا) بل مثل ذلك كمثل من قال — ولله المثل الاعلى—: بنيت منزلا يناطح السحاب من بلور صاف وجعلته سبع طبقات وجعلت فيه سراجاوهاجا فان هذا صادق بوضع هذا السراج في الطبقة الاولى سواء استنارت به الطبقات العليا أم لا، كذلك الشمس والسموات . ثم ان الحكمة تقضي بأن من يستفيد من ضوء الشمس هو الذي جعل السراج لاجله وذلك هو الارض وما ضاهاها مثل المريخ . فأما باقي الطبقات فهي نجوم لامعة واجسام نارية فلا تستفيد من السراج شيئا وهذا لايمنع من وجود السراج فيما بينها ليفيد من يستفيد دونها

﴿ الشمس والقمر ونظرية الطيف ﴾

قال الله تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً) يقول علماء الغرب قد ثبت بواسطة تحليل الضوء أن ضياء الشمس سبعة اضواء مختلفة وإنما الذي يمزجها بعضها ببعض ويجعلها لونا واحداً في رأي العين هو سرعة حركة الشمس الرحوية وثبت ذلك بالمشاهدة بواسطة منشور خاص من البلور كما تقرر في علم الطبيعة فصار هذا امراً لاريب فيه

ولا شك أن هذا يفهم من الآية الشريفة فان ضياء على وزن فعال من جموع التكسير ، وحينئذ فمفرده ضوء على وزن فعل فيكون جمعه ضياء بوزن كتاب ونظيره ثوب وثياب وجدي وجداء . وقد جاء ذلك في بعض كتب التفسير (النيسابوري أو أبي السعود) ومما يعزز ذلك انه تعالى قال في جانب الشمس ضياء وفي جانب القمر نوراً بالافراد لان الواقع كذلك

﴿ مغرب الشمس ومطلعها ﴾

قال الله تعالى (حتى اذا بلغ ـ أي ذو القرنين ـ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة)

لاريب أن اقصى الارض من جهة المغرب كان في زمن ذى القرنين لايتجاوز حدود مراكش وما حاذاها من البلاد الاوروبية الواقعة على المحيط الاطلسي وهو المحيط الذي لايرى له آخرا من كان على تلك الشواطيء . فاذا غربت الشمس امام الرائي حينئذ يخيل اليه انها تغرب في عين حمئة وسط هذا الغطاط اللجب

ويقول الذين رأوا مغرب الشمس من جبل طارق إن قرص الشمس حين يجنح للمغيب عن الرائي يرسم هالة مثل هالة القمر أو مثل قوس قزح ـ ولكنها اعظم قدرا من ذلك ـ بواسطة انعكاس أشعة الشمس على الماء، ثم ان المحيط الاطلسي مشهور بابخرته الكثيفة حتى انها تجعل جوّه مظلما احيانا ومن أجل ذلك سمي بحر الظلام أو الظلمات فاذا ظهر منظر الشمس حينئذ وهي في وسط تلك الهالة الضوئية من خلال البخار المتصاعد فان الهالة تكون مثل حافة البئر لما اعتراها من دكنة البخار الذي تغشاها، قال الشاعر مشيرا لما في الآية

ان انغماسك في التيار حقق أن الشمس تغرب فى عين من الماء

ولكن ذلك انما هو بحسب النظر وفى رأي العين وان كان الواقع أن لاعين ولا بئر للغروب . وهذا هو قول الله (وجدها تغرب) الخ أي ان ذلك بحسب ماوجده ذو القرنين وما وقع فى نفسه حين شاهد

ذلك المنظر فعينه هي التي افهمته ذلك وما كان نبيا حتى يوحى اليه - كما قال فى متن بدء الامالي: توحيد.

وذو القرنين لم يعرف نبيا كذا لقمان فاحذر عن جدال

فالله تعالى يقص علينا الحال التى وقعت فى نفس ذى القرنين حين بلغ أقصى المغارب وفتئذ ولذلك لما بلغ مطلع الشمس لم يجد شيئا من ذلك لانه لم يبلغ المحيط الهادى بل وصل الى حدود الصين من جهة بلاد الهند وذلك لان امة الصين يومئذ لم تكن تفهم لغتها لصعوبة تراكيبها فان في كلماتها كلمات تتركب من خمسة واربعين حرفا (في الكلمة الواحدة) وأيضا فهنالك أراض واسعة جداً وقومها لايحبون الاجنبي حتى كانوا اذا ظفروا بسائح قتلوه ولذلك بقيت فيها أراض لم يستكشفها السائحون للآن وهذا مما يدلنا على انه لم يكن من السهل على ذي القرنين اقتحامها بل كان أقصى بلاد المشرق المألوفة في العصور القديمة هي حدود بلاد الصين من جهة الهند واهلها هم الذين قال الله فيهم (حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً) ثم لما توغل في السير حتى بلغ حدود الصين عند الطريق المؤدي للصين وهو الذي كانت الصين تزحف منه على الهند فتعيث فيها فساداً وهو ما بين السدين (١) (وجد من دونهما قوما لايكادون يفقهون (٢) قولا)

---

(١) السد بالفتح الجبل كما في الصحاح وغيره (٢) قرىء بضم ياء يفقهون وفتحها أي لعدم تعرفهم اللغات بنفورهم او لصعوبة لغتهم

وهذا هو الذي أخذته من الآراء المعززة لعلماء التاريخ والجغرافيا(١) وهو واضح في سورتي الكهف والانبياء بالنسبة ليأجوج ومأجوج : وفي كتب التفسير ان القوم الذين لا يكادون يفقهون قولا هم الترك

نموذج

﴿ لاستخدام نظريات علم الفلك ﴾

« في فهم الآيات القرآنية على وجهها »

﴿ وشيء من علم الهيئة أيضا (٢) ﴾

قال الله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم * والقمر قدرناه منازل) الآية

---

(١) ولذلك يقول بعض الاساتذة المؤرخين لامانع ان يكون المراد من يأجوج ومأجوج هم أهل الصين واليابان اذا اتحدوا وتقدموا في الحضارة فانهم يكتسحون العالم بأسره وذلك هو الذي يطلق عليه بعض علماء الجغرافية اسم : الخطر الاصفر : وفي القرآن دليل عليه وهو قوله تعالى (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون * واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا) وهم أهل الغرب قائلين (ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) ولامانع منه حيث ان جميع بقاع الارض قد اكتشفت ولم يكن هنالك أمر غريب)وقد جاء في الحديث « ان يأجوج ومأجوج آية من آيات الساعة » ولا شك ان تغلب الشرق على الغرب من اشراطها . وبعض المؤرخين يقول ذو القرنين هو اسكندر المقدوني وفي كتب التفسير ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا اه ويأجوج وماجوج كلمتان أعجميتان ربما كانتا شبيهتين بكلام الهند والصين..

(٢) مما وعيته عن الاستاذ الشيخ حسن منصور بتصرف

تجد الشمس تستمر طول السنة في قطع محيط دائرة (وهذا على القول بأن الشمس غير ثابتة بل ذات دورة سنوية) وهذا المحيط هو المسمي فلكا فالفلك هو الخط الدائر الذى ترسمه الشمس طول السنة وهو مأخوذ من فلكة المغزل. وكذلك للقمر في سيره فلك إلا أن الشمس تقطع فلكها في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر واحد ، فذلك اوسع من هذا وكل من الشمس والقمر وما يتبعهما من النجوم التوابع في فلك يسبحون أي يسيرون بسرعة شديدة فكل يشبه فرسا سبوحا شديد العدو . ثم ان فلك الشمس مقسم الى اثنى عشر جزءا تقطع كل جزء في شهر وفي أثناء سيرها حين تقطع الجزء الاول من الاثنى عشر جزءا تكون الشمس موازية لكواكب مخصوصة أي انها تسامت الكواكب التي فوقها فى الشهر الاول وهذه المجموعة من الكواكب التي تسامتها الشمس وهي في جزء من هذه الاجزاء تسمى برجا فاذا تم الشهر تكون الشمس قد انتهت من ذلك البرج المسمى برج العقرب مثلا وانتقلت الى البرج الثاني وهكذا تنتهي من كل برج من الاثنى عشر برجا في مدة شهر. (فالبرج هو مجموعة كواكب خاصة يطلق عليه اسم الحمل أو الدلو أو الميزان. . . . الخ تسامت الشمس اثناء سيرها في شهر واحد) ولذلك يقول الله (والسماء ذات البروج) (تبارك الذى جعل في السماء بروجا)

ثم ان القمر يقطع فلكه في ثلاثين أو تسع وعشرين ليلة كل ليلة يقطع جزءا منه ويسامت كواكب فى كل ليلة غير التي يسامتها فى ليلة اخرى من الشهر . فالقمر مثل الشمس إلا أن الليلة بالنسبة للقمر بمثابة الشهر بالنسبة للشمس والمجموعة من الكواكب التي تسامت القمر فى ليلة واحدة

تسمى منزلة والجمع منازل ولذلك يقول الله تعالى (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل) (والقمر قدرناه منازل) فتلك بروج الشمس وهذه منازل القمر . . . . لكن ماذلك المستقر فى قوله تعالى (والشمس تجرى لمستقر لها) ؟؟

والجواب اننا اذا قابلنا آية الشمس وهي (والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) بآية القمر وهى (والقمر قدرناه منازل) نجد أن قوله منازل في القمر تقابل قوله (لمستقر لها) فى الشمس والدليل على ذلك (١) تلك المقابلة (٢) انه بمعرض ذكر حركة كل من الشمس والقمر لقوله (وكل فى فلك يسبحون) (٣) ذكر التقدير فى آية الشمس بقوله (ذلك تقدير العزيز العليم) كما قال فى القمر (قدرناه منازل) أى ان المستقر مقدر للشمس بتقرير العزيز العليم كما أن المنازل مقدرة للقمر أيضا

وعلى ذلك يكون مستقر الشمس هو برجها

قد يقال ان المستقر اسم مكان من استقر والبرج هو طائفة من الكواكب العالية جدا المسامتة للشمس فكيف تكون مستقراً للشمس؟؟

والجواب ان ذلك مكان اعتباري أو على حسب النظر . ولما كان فلك الشمس أكبر من فلك القمر كانت المسافة التي تقطعها الشمس عظيمة جداً تحتاج في قطعها الى سرعة ولذلك عبر فى جانب الشمس بلفظ تجري ليشير الى ان تلك المسافة الطويلة جدا فرض الله لها مدة تجري فيها الشمس جريا حتى تتمكن من اتمامها في موعدها

وقوله لمستقر اللام للانتهاء فكان المناسب ان يعبر بإلى لكنه عبر باللام المشعرة بالتعليل والغرض ليُفْهِمَ حال الشمس في جريها أي كأن لها

غرضا وحاجة تجري لتحصيلها وإدراك غرضها قبل فوات الفرصة فاذا أدركتها انتهت اليها ثم انتقلت لغيرها كذلك . وتقدير الكلام تجرى في فلكها لمستقرها اى موازية لبروجها لا تعدو برجا حتى يتم الوقت الذي فرضه الله لها فجريها في فلكها مسرعة لاجل أن توازي برجا من تلك البروج

قد يقال . اذا كانت الشمس تجري فلم عبر بالمستقر في جانبها مع ان المستقر يدل على الاستقرار وهو المكث والسكون ؟ ؟

والجواب اننا ذكرنا في قارعة الكلام ان الشمس تقطع البرج في شهر فالمدة التي تمكثها الشمس في البرج شهر فكأن الشمس مستقرة في البرج مدة الشهر فصار البرج مكانا ومستقرا للشمس ، ومثال ذلك قول القائل : لبثت شهرا أمشي في الصحراء . كذلك الشمس لطول مكثها في البرج سمي مستقرا لها . وأما القمر فهو يشبه المسافر الذى ينزل في كل ليلة منزلة ، فما أحكم التعبير في جانب القمر بالمنزلة (١) وفي جانب الشمس بالمستقر

ويؤيد ذلك ماتقرر من أن فلك الشمس أكبر من فلك القمر بما يزيد على اثنتى عشرة مرة وبرج الشمس أكبر من منزلة القمر بما يزيد على ثلاثين مرة فما أشبه البرج بالمستقر وما أشبه القمر بالمسافر

وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى (تجري لمستقر لها) هذا اشارة الى دوران الشمس حول محورها وهي الحركة الرحوية والمستقر هو محور الشمس وهذا بناء على القول بأن الشمس ثابتة فى مكانها وانما تدور حول نفسها (محورها) اه النقل . ولكن الظاهر المتبادر من الآيات التي وردت فى الشمس ان

---

(١) ويروى القمر كل ليلة في منزلته الا الليلة التاسعة والعشرين والليلة الثلاثين فلا يرى وذلك وقت الاستسرار أو السرار الذي يستتر فيه القمر

المستقر هو يوم القيامة الذى يستقر فيه كل متحرك وانّا لنجزم بأن معنى قوله تعالى (والشمس تجرى لمستقر لها) يساوي قوله تعالى (وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى) فيكون قوله (تجرى لمستقر) مساويا لقوله (تجرى لأجل) وكل من اللام فى قوله (لمستقر) واللام فى قوله (لاجل) للانتهاء أى تجرى الى مستقر . وتجرى الى أجل مسمى. فاذا جاء الاجل استقرت فى مستقرها . وبذلك التفسير نخرج من مأزق التكلف الى ميدان السلاسة فى فهم الكلام العربي المبين

﴿ السؤال عن الهلال ؛ وجواب الوحي عن السؤال ﴾

سأل بعض الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسول الله مابال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة كالشمس ؟ (١) فنزل قوله تعالى (يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج ، وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) قد يخيل الينا لاول وهلة ان هذا الجواب لم يطابق ذلك السؤال فان السؤال يكاد يكون عن الفرق بين القمر والشمس في رأي العين فكان الجواب : مواقيت للناس والحج :

غير أن المتأمل في غضون الآية الشريفة يجد الجواب المحكم وبيان ذلك كما يأتي

---

(١) قال الشاعر في تمثيل المرء بالهلال

المرء مثل هلال حين تبصره ... يبدو ضئيلا ضعيفا ثم يتسق

يزداد حتى اذا ما تم اعقبه ... كر الجديدين نقصا ثم يمحق

ان الامور الدنيوية قسمان (١) ماله ارتباط بالتشريع (٢) مالا علاقة له بالتشريع البتة . فالاول مثل البيع والشراء وسائر المعاملات وهذا القسم تؤخذ أحكامه عن صاحب الشرع عليه أفضل الصلاة والسلام إن ورد عنه نص صحيح يوجب العمل بمقتضاه ، والقسم الثاني مثل أسباب هبوب الرياح ونزول المطر وطلوع الشمس ثم غروبها ومنازل القمر ونمو الهلال حتى يتكامل ثم نقصانه حتى يمحي ونحو ذلك من حوادث الرعد والبرق وما هو كائن في السموات والارض وهذا انما يعرف بالنظر والبحث الدقيق : اللذين أمرنا بهما : في الارض والسماء . ولهذا امكن الانسان أن يقف على سر ذلك وكان ما استنبطه باجتهاده مدونا في كتب شتى . وهذا القسم لا يسأل عنه الرسول المشرع لان الرسول بعث مبينا للناس الامور التي يحتاجون اليها في معاشهم ومعادهم ولم يبعث فلكيا ولا طبيبا ولا زارعا ولا حداداً الخ .فكما لا ينبغي أن يسأل عن الزروع وما يتعلق بها كذلك لا ينبغي أن يسأل عن علم الفلك وما يتعلق به ، وكما لا يشينه عدم الجواب عن سؤال يتعلق بالزرع كذلك لا ينقص من مقامه الا يجعل الجواب تجاه قلب السؤال الخارج عن دائرة التبليغ ويؤيد ذلك ماروي في الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على قوم يؤبرون النخل(١) فقال لهم « تركوه ولا تؤبروه» فأشاص (٢) النخل فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم: « انتم اعلم بامر دنياكم » ومثل ذلك ماورد في غزوة بدر أن النبي أمر بانزال الجيش في مكان

---

(١) تأبير النخل تلقيحه وأبر نخله لقحه واصلحه (الصحاح وغيره)
«٢» أشامت النخلة لم تتلقح أو صامت وصيصت « القاموس »

فقال له عمر رضي الله عنه أهو منزل انزلكه الله أم الرأي والمكيدة والحرب فقال النبي صلوات الله عليه «بل الرأي والمكيدة» والحرب فقال اذن ننزل عند الماء فكان ذلك

غير أن الوحي قد يتعرض لبسط القول في امر من امور القسم الثاني ويكون ذلك من باب ضرب الامثال أو من باب التمهيد لامر يتعلق بالتبليغ عن أحوال الآخرة ونحوها وذلك كأن يشرح الله تكوين الامطار ونزولها على الارض الموات فتحيا حياة طيبة ثم يتبع الى ذلك بقوله (ان الذي احياها لمحي الموتى) أو يقول (كذلك النشور) ومثل أن يجعل حياة الانسان وموته وبعثه سلسلة واحدة متكافئة حلقاتها في سهولة الحصول مع أن المقصود بالذات هو حلقة البعث والنشور كقوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ـ الى قوله ـ ثم انكم بعد ذلك لميتون * ثم انكم يوم القيامة تبعثون) وهذا بمثابة الشرح لقوله تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) وقوله (فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشأة الآخرة)

من اجل ذلك نرى أن النبي اذا سئل عن شيء من القسم الثاني فقد يجيب عنه من جهة يكون لها مساس بالتشريع الذي أمر بتبليغه كقوله تعالى (يسئلونك عن الخمر والميسر، قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس، واثمهما اكبر من نفعهما) فانظر كيف تعرض لبيان الاثم ورجحه على نفع التعامل بهما ولم يتعرض لبيان الاضرار الصحية ونحوها وان كان ذلك يؤخذ من الاجابة عن جنب لانه تابع لذلك البيان

وكذلك قوله تعالى (يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس

والحج) ومثل ذلك كمثل من يسأل الطبيب عن شجرة السدر فانه يجيب عنها من جهة مناسبها بالطب والدواء واذا سئل النجار عنها فانه يجيب عنها من جهة ارتباطها بالنجارة ، واذا سئل الواعظ عنها فانه يجيب جوابا يتعلق بجلال خلق الله وتمام قدرته وهكذا

وعلى ذلك يكون من الشطط ان يسأل الرسول عن الهلال من جهة لا علاقة لها الا بعلمي الفلك والهيئة ولو فرضنا ان الرسول شرح منازل القمر شرحا فلكيا لقوم لم يعرفوا شيئا من علم الفلك لتعذر عليهم فهم ذلك ان لم يبادروا الى الانكار والشك في ذلك الكلام الغريب الذي لم يتعودوا سماعه . وحينئذ فالواجب على السائلين أن يتعلموا قبل سؤالهم هذا ما يؤهلهم الى فهم الجواب عنه فكان عليهم أن يتدرجوا في تعلم العلوم حتى يسهل عليهم معرفة ذلك كقوله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا) ولهذا نجده تعالى اردف ذلك الجواب عن السؤال عن الأهلة بقوله تعالى (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) ولا شك ان ذلك مثل قول الاستاذ الحكيم لتلميذ اشتط في السؤال عن شيء يتوقف فهمه على فهم مقدمات ونظريات لما يتعلمها التلميذ : ليس من المعقول ان ترقى الى سقف المنزل من غير ان تتدرج في التصعد على السلالم درجة فدرجة ، كذلك ليس من الحكمة ان يؤتى المنزل من ظهره ، بل من بابه ، وكذلك لا يسأل عن الاهلة من أول وهلة ، بل على السائل عن ذلك أن يصل الى فهم ذلك من سبيل التعلم فهذا كدخول البيوت من أبوابها واذا سلكوا سبيل التعلم فانهم يصبحون في غنية عن ان يعتسفوا الجادة بسؤال الرسول عما يمكن الوقوف

على سره من غير وحي ليتفرغ الرسول الى مابعث لأجله وهو الذي ينبغي ان يسأل عنه الرسول ولهذا يقول الله لرسوله (انما أنت نذير) بالقصر الاضافي

ومع ذلك كله فان في الجواب مايشعر بالمطابقة في الجملة من جهة علم الفلك لان معنى قوله تعالى (قل هي مواقيت للناس والحج) ان القمر يسير بأحكم نظام سيراً دقيقا حتى انكم تتخذونه مواقيت فيما بينكم بالأيام حين ينزل كل ليلة منزلة من منازله التي قدرها الله له ، وبه تعرفون مواعيد الحج في كل عام فكأنه ساعة دقاقة نعلم بها المواقيت كل يوم وكل عام ، وذلك لانه في نهاية الاحكام وكذلك يسير الله الشمس على ذلك النظام المحكم وكذلك سائر الكواكب ،وهذا دلالة على ان الكواكب على اختلاف طبقاتها وتفاوت حجومها خاضعة بأسرها لذلك المنظم المبدع والمهندس الاعظم ، وذلكم الله رب العالمين. وعلى ذلك يكون قوله تعالى (مواقيت للناس والحج) وكذلك قوله (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) وكذلك قوله (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب) مراداً به لازم ذلك وهو السير بنظام هو غاية في الاحكام وليس مجرد اخبار بأن الاهلة مواقيت للناس والحج أو بأن تعلم بالشمس والقمر عدد السنين والحساب لان هنالك وسائل اخرى نستطيع أن نعلم بها عدد السنين والحساب والمواقيت .على أن كل السائلين كانوا يعرفون أن القمر في منازله المختلفة يتخذ مواقيت فالاخبار بهذا غير مفيد فيكون المراد حينئذ — كما بينا — الاخبار بلازم اتخاذه مواقيت وذلك احكام السير وما احكم هذا الخبر

وما ابلغ هذا الجواب عن ذلك السؤال (١)

نموذج

﴿ لاستخدام نظريات علم النبات وعلم الحيوان ﴾

(في فهم الآيات القرآنية على وجهها)

قال الله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)

قال علماء النبات ان في كل نوع من انواع النبات زوجين مذكراً ومؤنثا سواء منها النجم والشجر ، والاثل وذات الثمر قال تعالى (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين)

غير أن هنالك مايظهر مذكره من مؤنثه وكل منها قائم على ساقه كالنخل والباظ (شجر افرنكي من الفواكه) وهنالك مايستبين مذكره من مؤنثه وكلاهما على ساق واحدة كالاذرة والقمح وهنالك مالا يستبين مذكره من مؤنثه إلا لعلماء النبات الذين مارسوا النبات وعرفوا ماظهر منه وما بطن بواسطة الالات الخاصة بهذا العالم النباتي وذلك مثل البرتقال والورد (وانما قلنا ان الاذرة مما يستبين مذكره من مؤنثه لانه مما يظهر للعين العارية جليا حين يشرح النباتي لنا ذلك من غير استعانة بالات اخرى) ثم ان التلقيح تارة يكون بواسطة الرياح اللواقح وتارة يكون بواسطة الحيوان انسانا أو بهيمة تنتقل من شجرة الى شجرة أو

---

(١) ويؤيد ما اسلفنا من القول قوله تعالى بعد ذكر الشمس وتقدير منازل القمر : (يفصل الآيات لقوم يعلمون) أي وأما الذين لايعلمون فانه يجملها لهم وكذلك كان الحال في الجواب عن سؤال الاهلة

طائراً يهوي من غصن الى غصن وحينئذ فلا شك أن كل انواع النبات لاتخرج عن عموم قوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)

وكذلك يقول علماء الحيوان انه من المستحيل ان يوجد شيء من انواع الحيوان مهما بلغ من الصغر « بطبيعته » كما يقول الله تعالى (أم خلقوا من غير شيء ؟؟) بل لابد من مذكر ومؤنث ليولد لهما وليد من نوعهما حتى الدعاميص « الميكروبات » التي لا نراها الا بمجهر عظيم . وهذا مما دخل في دائرة المشاهد بالعين ، وقد ثبت بالمجهر العظيم « الميكروسكوب » ان لكل الميكروبات اهتزازات تنبيء عن حياتها وانها من فصيلة الحيوان وليست من فصيلة النبات كما يزعم بعض العلماء وانها تتناسل بكثرة فاحشة وتنمو نمواً حثيثاً الا انها مختلفة اختلافا كثيرا من جهة طرق التوالد التي يختص بها كل طائفة منها . وكلها مولودة من ذكر وأنثى وكل ذلك داخل في طي العموم الذي تصدع به الآية الشريفة

وعلى ذلك فباطل قول من يقول : قد يتخلق من أنواع المأكولات المودعة باطن القوارير ديدان نشأت من ذلك المأكول الذي تسنه « من غير أبوين » ووجه البطلان انه رُئي في الهواء شيء لا عداد له من أنواع البكتيريا « الدعاميص » التي تفسد كل مطعوم تدخله مع الهواء ولا شك انها تتناسل من ذكر وأنثى ، ولهذا لو أصبحت علب المأكولات فارغة من الهواء واستؤصلت شأفة ما بها من البكتيريا لعاش ما أودع فيها من المأكول أياما كثيرة بدون ان تتخلق فيها دودة واحدة من غير أبوين «١»

---

(١) وكان ينبغي أن نجعل هذا البحث بعنوان علم البكتيريا أو الحشرات ولكن جعلناه تحت علم الحيوان لان كل ذلك من الحيوان

وعلى ذلك فلا شيء يوجد من غير شيء فسبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون * والازواج جمع زوج وهو يطلق على الواحد المذكر أو المؤنث بملاحظة ضده المؤنث أو المذكر فانظر كيف بين الازواج كلها بقوله (مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) ولا شك أن ازواج البكتيريا كانت مما لا يعلمون، وربما كانت هنالك ازواج مما لا نعلم نحن اليوم أيضا)

الا فصدق الله إذ يقول (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) قد كنا نقرأ هذه الآية الشريفة فنظنها ترمي الى ما يقع تحت حواسنا من انواع الحيوان والنبات وقليل ماهي : فلما عرفنا شيئا عن علماء النبات والحيوان المحدثين وجدنا هذه الآية الكريمة تتكشف عن دائرة هائلة مترامية الارجاء جداً وجدناها تشمل اصناف الحيوان كلها التي نراها والتي لا نراها إلا بتعمل كثير . وجدناها تشمل انواع النبات التي نعلمها والتي لا علم لنا بها من قبل ومن بعد . وربما تترامى الدائرة الى اكثر من ذلك لو صدق الظن بأن في الجمادات زوجين كذلك كما يقول بعض علماء طبقات الارض، فهذا معنى العموم في قوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين) ولا عموم اشمل من كل شيء (فسبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون) وحسبنا الآن من علمي الحيوان والنبات هذا لانا اليوم نولي وجهتنا شطر ما كان غامضا من الآيات فيما مضى ثم تفتح اليوم عن انوار اودعتها يد العلم بالغيب في ثنايا لؤلؤ الآيات الباهرات ، ما جلاها إلا العلم الحديث فكانت تلك المعجزات الواعظات كأنها نزلت من السماء في هذا الزمان

نموذج

﴿ لاستخدام نظريات علم الطب في استنباط الاحكام الشرعية ﴾

(في فهم الآيات القرآنية على وجهها)

﴿ التشريح ﴾ — (أولا)

(قال في الهداية — جزء أول كتاب الصوم)

ولو داوى جائفة أو آمة بدواء فوصل الى جوفه أو دماغه افطر عند أبي حنيفة رحمه الله والذي يصل هو الرطب وقالا لايفطر لعدم التيقن بالوصول لانضمام المنفذ مرة واتساعه اخرى . وله أن رطوبة الدواء تلاقي رطوبة الجراحة فيزداد ميلا الى الاسفل فيصل الى الجوف اه

اذا نحن قارنا اليوم بين دليل كل من الامام وصاحبيه وبين ماتعرفناه من علم التشريح فيما يتعلق بهذه المسألة فاننا نجد بونا شاسعا وفرقا كبيراً بينهما فدليل الامام وصاحبيه دليل من ينظر بعقله فى محل الحس والمشاهدة وما تعرفناه من التشريح مبني على النظر بالعين واللمس باليد فشتان بينهما وكل من الامام وصاحبيه يسوي بين الجائفة والآمة في التعليل ورحمة الله على الجميع

مع أن ماتعرفه الاطباء من التشريح ينفي كل سبيل بين الجراحة في ام الرأس (الآمة) وبين المعدة (الجوف) الا سبيل الدورة الدموية وهي سبيل لاتوصل الدواء من الآمة الى المعدة كما يوصل المرىء الدواء من الفم الى المعدة . وان آخر مايوصل الى الجوف من اعلى هو الانف والعين احيانا فأما الآمة فهي بالنسبة الى صلتها بالمعدة كالجراحة في القدم

وأما قول الامام رحمه الله ان رطوبة الدواء تلاقي رطوبة الجراحة فيزداد ميلا الى الاسفل فيصل الى الجوف فهذا مبني على وجود منفذ يوصل ذلك الدواء من الدماغ الى المعدة مع أن المخ لا يسمح بشيء من هذا يمر عليه فلا ينزل الى الاسفل مهما كان الدواء رطبها ، فأما الجائفة فالتعليل بذلك صحيح في حقها ،

وعلى ذلك يكون القول الصواب هو قول الصاحبين رحمهما الله تعالى وهو أن ذلك الصائم لا يفطر بالرغم من وصول الدواء الذى في الآمة الى الدماغ (كما في أصل المسألة) وان كان دليل الصاحبين اصبح واهيا وذلك لا يقدح في المدلول (١)

— ثانيا —

قال في الهداية في كتاب الصوم أيضا

ولو اقطر في احليله لم يفطر عند أبي حنيفة وقال أبو يوسف رحمه الله يفطر فكأنه وقع لابي يوسف أن بينه وبين الجوف منفذاً ولهذا يخرج منه البول ووقع عند أبي حنيفة أن المثانة بينهما حائل والبول يترشح منه اهـ

نقول والذى تبين بالتشريح من غير ماتخمين اليوم هو ما يوافق دليل الامام رحمه الله وعليه فيرتفع الخلاف ويصبح دليل أبي يوسف رحمه الله غير موافق للصواب ولذلك قال الكمال بن الهمام حاشية على ذلك : يفيد انه لا خلاف لو اتفقوا على تشريح هذا العضو اهـ وسنقتصر من باب الصوم على هذين الفرعين وكفى بهما نموذجا

---

(١) لانه قد ينهار الدليل ويسلم المدلول اذ أن المدلول لازم والدليل ملزوم فاذا بطل الملزوم لا يلزم منه بطلان اللازم لجواز أن يكون لازما الملزوم غيره كما تقرر في موضعه

— ثالثا —

في باب ثبوت النسب

ابن عابدين جزء ثان صفحة ٥٩٤ . قال فى متن التنوير . : جاءت امرأة المجبوب بولد بعد التفريق الى سنتين ثبت نسبه . قال في ابن عابدين حاشية على ذلك : قال فى التتارخانية ولو كان الزوج مجبوبا ففرق القاضي بينهما فجا ت بولد لاقل من ستة اشهر من وقت الفرقة لزمه الولد خلا بها أو لم يخل ،وهذا عند ابي يوسف وقال ابو حنيفة رحمه الله يلزمه الى سنتين اذا خلابها

هكذا أثبت بعض الائمة : رحمهم الله تعالى : النسب من المجبوب (والمجبوب من جبت اعضاؤه التناسلية) ولا دليل لهم في ثبوت هذا النسب من المجبوب عن الشرع بل ادلتهم عقلية (انظر فتح القدير جزء ثان صفحة ٤٧٤)

والذى ثبت فى علم التشريح يقينا هو عدم امكان الحمل ممن جب صغيراً (أو ممن جب كبيرا لو فرض نجاح العملية وتقادم العهد) لعدم وجود حيوان منوي . وقد أمرنا بسؤال الاطباء فيمالا علم لنا به من طبهم قياسا على سؤال أهل الذكر فيما لا نعلمه من علمهم بقوله تعالى : (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وذلك جواب من سألنا من الاطباء الحاذقين فيجب الاخذ به والعمل على وفقه

وقد نهينا عن ان ندعوا شخصا لغير ابيه وأمرنا أن ندعوهم لآبائهم ان علمناهم والا فلا نلحقهم باحد ظلما وزورا وذلك الامر في قوله تعالى

(ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم) الا وان ائمة من الفقهاء يبالغون فى ثبوت النسب مبالغة قد تضر فيعودون على موضوعهم بالنقض (أي ماظنوه غير ضار يكون ضارا) وحجتهم في ذلك: رحمهم الله : قولهم كي لا يضيع الولد على من يربيه : نعم ولكن هذا لا يحدو بنا الى ان نثبت النسب ممن لا يمكن ان يولد له فلا يثبت النسب من المجبوب ومن على شاكلته

ثم ان الحكومة المصرية اليوم قد تكفلت بمن لم يثبت نسبه من اللقطاء لتربيه على نفقتها وتنشئه في اكنافها (فى القصر العيني)

وحينئذ فلا يضيع الولد على من يربيه ولا نلحق ولداً بغير أبيه وحسبي أن اروي هنا قوله عليه الصلاة والسلام في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع « من ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » لتعلم خطورة ثبوت النسب الكاذب

— رابعاً —

قال الله تعالى في سورة (قد افلح المؤمنون)

(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله احسن الخالقين)

هذا ماعرفه المسلمون منذ ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن وهذا استكشفه علماء التشريح وهذا مايعرفه اليوم أطباء الغرب واهل الحضارة ذلك الشرح الدقيق لأطوار الجنين وهو في حجابه المقفل وقراره

المكين نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وما كان لدي العرب اذ ذاك تشريح ولم يكونوا على علم بأطوار الآجنة فى بطون أمهاتها . وما كان لاحد من أبناء تلك القرون العمياء ان يشق بطون النساء الحاملات ليتعرف أطوار الاجنة معرفة تنبيء عن استقراء واستقصاء ، ولكن الله يعلمه فأوحى به الى عبده ونبيه وعلمه مالم يكن يعلم فسبحانه (هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم)

لبث المسلمون فى الايام الخالية يقرءون تلك الآية وأمثالها قراءة تعبدية فحسب، ويمرون على مافيها من علم صادق كما يمرون على خبر من الاخبار الاخرى (يقولون آمنا به كل من عند ربنا) حتى جاء علم التشريح الحديث فكشف لنا عن مكنون هذه الآية الحكيمة ، ومزق ما كان يتغشاها من السر التاريخي . فكأنما نزلت هذه الآية فى هذه الايام الاخيره فتعالى الله اذ يقول لرسوله (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا)

قد يقال ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن ليتعاطى صناعة الطب ولا بعث طبيبا فما فائدة الوحي بهذا التفصيل لاطوار الاجنة ؟؟

والجواب ان الوحي الامين نزل بهذا ليكون كالمقدمة الممهدة لنتيجة مسلمة وتلك النتيجة هي البعث ، فقد جعل الله الانسان سلسلة أطوار (١) أول حلقاتها طور خلقه من سلالة من طين وثانيها طور النطفة وهكذا الى حلقة الموت ثم الحلقة الآخرة وهي البعث ، لانه قال (فتبارك الله أحسن الخالقين * ثم انكم بعد ذلك لميتون * ثم انكم يوم القيامة تبعثون)

---

(١) ولذلك يقول الله تعالى (مالكم لاترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا)

فرتب طور البعث على طور الموت وطور الموت على طور الحياة الخ. والمترتب على المحقق الثابت يكون محققا ثابتا مثله ، فكان البحث في تأكد حصوله مساويا لكل طور من هذه الاطوار في تحققه ، وهذا هو السر في أنه تعالى ساق البعث في عبارة مساوية لعبارة حصول الموت اذ يقول (ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون)

وبذلك نعلم حكمة الايحاء بهذه الاطوار دون غيرها مما يختص بعلم التشريح أيضا فانه لو فرض انه تعالى اوحى اليه بعلم التشريح كله مثلا لخرج الرسول عن أن يكون بشيراً ونذيراً ومرشد الناس لما فيه صلاح معاشهم ومعادهم الى أمر فرعي ، وهو أن يكون طبيباً يفهم الناس ما نزل عليه من الطب والتشريح . تعالت حكمة الله عن ذلك

الاخلاق والعادات

قد سبق القول بأن الحضارة تشمل (١) العلوم والمعارف الحديثة ، وقد ذكرنا من ذلك نموذجا كافيا يستطيع أن ينسج على منواله كل من انعم النظر فى قراءته وتشمل (٢) الاخلاق والعادات التى عليها أهل الحضارة (١) وسنوجز القول فى التوفيق بينها وبين الدين الحنيف مع مراعاة التفصيل الذي سنذكره

نرى الاخلاق قسمين (أولا) الاخلاق التي عليها عامة أهل اوروبا وذلك مايسمى عادات قومية سنضرب عنها الذكر صفحا لان اكثر هذه

---

(١) بذلك جرى عرف هؤلاء المحدثين واما اخلاق زنوج افريقا ونحوهم فلسنا بصددها

العادات يمقتها علماء الاخلاق من أهل الحضارة والمدنية انفسهم ويرون سعادة العالم المتمدين في الخلاص من نيرها الذي يرزح تحت خطره الداهم شيبهم وشبانهم رجالهم ونساؤهم (ثانيا) الاخلاق التي يقدسها الخاصة من ملوك ووزراء وفلاسفة وعلماء ومن على شاكلتهم ومشاربهم ونعني بها الاخلاق العالية التي دونت اصولها ونظرياتها في كتب قيمة واسفار غالية وهذه محل عنايتنا في هذه العجالة بايجاز :

التوفيق بالبرهان

﴿ بين الدين الحنيف وبين الحضارة في الاخلاق ﴾

(١) لاشك أن الحضارة التي يدعو اليها فلاسفة اوروبا وامريكا وسائر البلاد الناهضة هي ماكانت مدعمة بدعامة الاخلاق الفاضلة كما يقول أمير الشعراء

وانما الامم الاخلاق مابقيت فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

وحينئذ فيكون بين الحضارة الصحيحة وبين مكارم الاخلاق تلازم بين (٢) ومما لامرية فيه أن بين الدين الحنيف وبين مكارم الاخلاق تلازما بينا أيضاً فتنتج النتيجة المطلوبة وهي وجود التلازم بين الحضارة الصحيحة وبين الدين الحنيف حيث الاخلاق الفاضلة وهو المطلوب

ولو كان لدينا من الوقت منفسح لاستخرجنا درر الاخلاق (التي كشف نظرياتها حديثا علماء الاخلاق) من بحر ذلك القرآن الحكيم درة درة، ورويناروض الفؤاد من شآبيبها الثرة

وان ذلك لامر هين على كل غواص، وهاهي ذي بعض الآيات التي اشتملت على الاخلاق التي لاتبلى جدتها على طول الزمان

الايثار　　(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)
هذه آية من آيات المكارم الانسانية تمدح الايثار، وتقضي على تعاليم الأثرة، تمدح خلقا يليق ببني الانسان، وتهدم خلق النهم والجشع اللائقين ببهيمة الانعام، فمن كان يريد رقي الاخلاق، وعلو صفاته عن مستوى العجماوات، فليعمل بما في هذه الآية الوجيزة ومن كان يريد أن يرجع القهقرى حتى يلحق الحيوان الاعجم في اوصافه، فليكن ذا اثرة محبا لنفسه، شرها لا يعرف إلا مصلحته، ولسان حاله يقول: لنا الصدر دون العالمين أو القبر، اذا مت ظمآنا فلا نزل القطر. وحسبي أن اشير على القاريء بأن يطلع على ما كتبه الباحثون في الاضرار الجسيمة التي تلحق المجتمع اذا فشا فيه داء حب النفس والاثرة حتى يستطيع أن يجزم بأن هذه الكلمات القليلة تشف عن دواء ناجع لداء اجتماعي عضال وكل هذه المكتوبات الضافية العديدة الحديثة شارحة لهذه الآية الشريفة، مبنية لخلق أهل الحضارة الصحيحة

الحكمة والحزم　　(ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة) تتضمن هذه الكلمة

الشريفة خلق الحكمة والحزم وضبط النفس وعدم الطيش حتى لا يقدم أحد نفسه بيده الى الهلاك وعلى ذلك فالذي يبخع نفسه (ينتحر) مخالف لربه وقد جاءت القوانين الوضعية المحدثة على تعزيز العمل بما في هذه الآية الشريفة، وليس في وسع القوانين الوضعية الا معاقبة الاحياء الذين يعاونون القاتل نفسه على قتلها بتهيئة السبيل له، واحضار المواد القاتلة عنده، فأما الذي مات قتيل نفسه فلا يقدر على عقابه الا الله يوم الحساب وقد تناول الكاتبون الكثيرون ما اشتملت عليه هذه الاية في مكتوبات شتى، ولم اعلم بأن هنالك كاتبا واحداً من علماء الاجتماع في مشارق الارض أو مغاربها أو باحثا عاقلا يرى البخع (الانتحار) امراً حسنا بل الجميع يشهد بحسن ما في الكلمة القرآنية

الصبر

(والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس) (وتواصوا بالصبر) مدح الله الصبر وأمر به في غير آية فى القرآن الشريف . والصبر الآن عماد الغربيين في كل اعمالهم السديدة الرشيدة، والصبر في كل امر تضربه السرعة واجب شرعا فقد أمرنا به الله ورسوله

الاخلاق العالية	الآيات القرآنية الشريفة
الشجاعة	(قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) الشجاعة ضرورية لكل انسان يريد أن يحيا حياة طيبة فمن رزقه الله من الشجاعة نصيبا فاز بالحياة، ومن كان جبانا فليبوء بالوفاة ليكون في امن أمين وحصن مكين، عن المخوفات التي تنغص راحته وتقلق باله في كل حين، فلا يتمتع بنعيم الحياة المرعب الذي استهواه، والجبن الذي تغشاه، وكل من الشجاعة والجبن محدود في كتب الاخلاق وقد ميز الاخلاقيون بين الشجاعة والتهور فمدحوا الشجاعة وذموا التهور وقالوا ان الشجاعة وسط بين التهور والجبن وخير الامور اوسطها وكل فضيلة وسط بين رذيلتين عند البعض منهم، ويستبين ذلك جليا بمراعاة قوله تعالى (ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة) مع قوله تعالى (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) وردفها ونظائرها في آيات الكتاب العزيز كثير
العفة	وقد وردت في آيات شتى وليس هنالك اليوم نزاع بين علماء الاخلاق فى أن العفة خلق من امهات الاخلاق العالية وانها جديرة بالانسان الراقي

الكامل فى الانسانية وان عدم العفة من صفات الامم الهمجية والقبائل المتوحشة ، وانما العسر فى حصولها والاتصاف بها، ولذلك لما استولى على فريق من ضعفاء النفوس اليأس من التحلي بخلق العفة قالوا ان العفة ليست من الاخلاق المدنية الجديدة بل هي من مكارم أهل البادية الذين هم على طباع خشنة لاتليق باهل التمدين وتستروا بستار الحرية مع انهم لو اطلعوا على نظريات الاخلاق التى استنبطها علماء الحضارة والمدنية الحديثة لرأوها شاهدة عليهم فانهم يقولون ان الفضيلة فضيلة فى نفسها ولا تنقلب الى رذيلة فى أي عصر من العصور ولا فى أي امة من الامم، بل الذي يختلف هو رأي الناس فيها . وحينئذ فتكون العفة خلقا لا يتيسر لكل الناس لا يحولها من فضيلة الى رذيلة يوما ما ولا يجعلها قاصرة على اناس دون سواهم . بل العفة فضيلة على الاخلاق باتفاق الاراء وعلى كل انسان يريد التعفف أن يعالج نفسه ليخلصها من ذل الفساد وليكون اقدر على النبوغ فى عمله بالتفرغ له وذلك لاتضيق عنه دائرة الحرية الشخصية وهاهم أولاء رجال الاصلاح فى الغرب

الاخلاق العالية	الآيات القرآنية الشريفة
	على مرأى منا ومسمع يتحسرون من ضياع العفة في بلادهم وينذرون قومهم بالخراب الذي يهددهم وهم في عقر دارهم من جراء الهمجية في الاعراض
أداء الواجب للواجب	(ولا تمنن تستكثر) (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءا ولا شكورا) وهذه ظاهرة في افادة النظرية المسطورة
الاحسان في كل شيء(١)	(ان الله يأمر بالعدل والاحسان)
العدل المطلق	(واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) فلا محسوبية هنالك ولا واسطة في العدالة
الشجاعة الادبية	(كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم) وهذا امر بأن نقول الحق بكل صراحة ولا نخشى فيه لوما ولا نخاف منه درکا وهذه الشجاعة الادبية تعد من اسمى المبادىء العالية عند علماء الاخلاق
ترك الانتقام السيء	(ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا)
العفو عند المقدرة	(ولمن صبر وغفر ان في ذلك لمن عزم الامور) (فمن عفا واصلح فاجره على الله)

(١) اما الاحسان في العمل فمن قوله تعالى (انا لا نضيع أجر من أحسن عملا) والله تعالى كتب الاحسان علينا في كل شيء كما جاء في الحديث الشريف

﴿ حسن المعاملة بين الناس (الذوق) أو علم الاخلاق الاجتماعي ﴾

وهنا ينبغي مراعاة المعاملات الخارجة التي يتعامل بها الناس المتمدينون فيما بينهم ليرى أن ماجاء به القرآن من علم الاخلاق الاجتماعي في عهد البداوة وجفاف الطباع دليل على أنه من عالم بالاذواق الراقية والاخلاق العالية التي تليق رقيتها اليوم بأهل النعيم ، جديد ظرفها بالمترفين قال الله تعالى وهو خير القائلين (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى)(لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى)(وقولوا للناس حسنا) (ادفع بالتي هي احسن السيئة) « سورة المؤمنون » (وجادلهم بالتي هي احسن) (لا يغتب بعضكم بعضا) (ولا تطع كل حلاف مهين * هماز مشاء بنميم * مناع للخير معتد أثيم * عتل بعد ذلك زنيم) (إنما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم) (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) (ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور * واقصد في مشيك واغضض من صوتك) (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا) (واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها) (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون * فان لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم ، والله بما تعملون عليم * ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم ، والله يعلم ما تبدون وما تكتمون)

(١) وهذه الآية تشتمل على ما هو مدون في كل القوانين العصرية وهو عدم انتهاك حرمة المنازل (أقرأ صفحة ٣٧ من أصول القوانين تأليف محمود كامل مرسي بك وسيد مصطفى بك)

(حسن المعاملة بين أعضاء الاسرة وحقوق المرأة)

(ووصينا الانسان بوالديه إحسانا) (وعاشروهن بالمعروف) (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) (وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا (١)) (يوصيكم الله في أولادكم * وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا) الآية (ولا تنسوا الفضل بينكم)

وكذلك ورد النهي عن مخالفة الضمير « الفكر الباطن» (ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه) هذا الى سائر المنهيات التي دخل معظمها في دائرة القوانين الوضعية وهي مشوبة ببعض مكارم الاخلاق كالنهي عن الزنى . ولا ريب ان تحليل الزنى ليس من الحضارة في شيء ، بل هو عود الى الهمجية الاولى ورجوع الى القهقرى حين كان الاشتراك فى واحدة مباحا لأفراد القبيلة ، الى آخر ماتقرر في موضعه ، وقد سبق بعض ذلك في خلق العفة . وكالنهي عن السرقة والقتل ونحوها ، وعلى انكار ذلك توافقت القوانين الوضعية والشرائع السماوية

﴿ الحكم الاخلاقي (٢) لايصدر الاعلى عمل الارادة (٣) ﴾

(وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ماتعمدت قلوبكم) (ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا)

---

(١) وهذا هو التخلق بخلق الوفاء (٢) الاخلاقي نسبة الى الجمع لانه صار علما على علم الاخلاق (٣) كتاب الاخلاق للاستاذ الشيخ أحمد أمين

﴿ الشخص وهو فرد غيره وهو مع الجمهور من حيث التفكير ﴾

(قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا)

ومن ثم قالوا، الجماهير لا تفكر الى غير ذلك من الآيات التي جاءت بمكارم الاخلاق في أعلى أطوارها، وفي أحدث أحوالها، وقد بعث النبي (ص) بها

نموذج

لاستخدام نظريات علم النفس « ١ »

فى فهم الآيات القرآنية فهما صحيحا

يقول علماء النفس ان كل حركة نفسية (باطنة) يصحبها شيء من حركات الاعضاء الظاهرة، فاذا تحركت النفس حركة سرور ظهرت على الوجه علائم السرور، وهنالك تكون أعمال الشخص مصحوبة بسرور واذا تحركت النفس حركة نشاط رأيت الجسم يندفع للتحرك وكذلك حركة الضجر والملل وحركات الكسل ونحو ذلك

وحينئذ فاذا كانت الحركات النفسية متجهة نحو الخير رأيت الافعال التي تصدر عن الشخص باختياره أفعالا خيرية، واذا كانت حركات النفس منبعثة الى الشر كانت الافعال الظاهرة الاختيارية شراً، لان الدافع على إتيان عمل الخير أو الشر انما هو آت من جهة نفس الشخص التي بين جنبيه فما قام بالنفس من خير أو شر هو الدافع على عمل الخير أو الشر، واذا تغير

---

(١) لما كان لعلم النفس مساس كبير بعلم الاخلاق آثرنا ان نرد الاخلاق بكلمة وجيزة عن علم النفس والدين

ماقام بالنفس تغير العمل الخارجي لذلك يقول الله تعالى (ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

فاذا كان القوم في نعمة فان ذلك يدل على ان أنفسهم ميالة الى جلب الخير ، وان مابأنفسهم هو الباعث على الخير . وإذا كان القوم فى ضنك وبؤس ، فان ذلك دليل على ان أنفسهم لاتميل الى جانب النشاط والكدح ، بل أنفسهم نزاعة الى الكسل والتقاعد عن الضرب في الارض لابتغاء الرزق ، وكذلك إذا أنعم الله على أمة بنعمة العلم ، فان ذلك برهان بين على ان أنفسهم منبعثة الى التعلم وميالة لجني ثمار العلوم . ثم اذا غيروا ما بأنفسهم من انبعاثها جهة التعلم وأحبوا الجهل وآثروا الخمول ، فان الله لابد ان يغير مابهم من العلم الى الجهل ، ومن النشاط الى الكسل ، ومن النعمة الى النقمة . وهكذا يغير حالهم التي كانوا عليها ، الى الحال التي وجهوا نفوسهم اليها ، وذلك مابينه الله فى الآية الثانية بقوله (ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

هذا نهاية العدل والحكمة . وهذا كمال الحكم والعلم ، وهذا غاية الايجاز والاعجاز ، وهذا ماكد علماء الشرق وفلاسفة الغرب خواطرهم حتي وصلوا الي استنباطه من بين مشاهدات تترى . وتجارب من قبل ذلك كثيرا : وقد وقفوا على ماكان عند المسلمين من لآلىء الحكم المكنونة في غضون الآيات المحكمة : فيحق لنا اليوم ان نتيه بما في الكتاب العزيز من الحكمة فخراً وان نرفع الرأس عالية ونسجد لله شكراً . فقد فهمنا مرمى قول الله لرسوله ، وصدق الله وبلغ رسوله (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم) (ماكان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذي

بين يديه ، وتفصيل كل شيء ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)

﴿ الدين الاسلامى وحرية الاعتقاد ﴾

قد يخلط بعض المفكرين لاول وهلة بين (١) « الاعتقاد » وبين (٢) «الدعوة الى الاعتقاد» فيعطونهما حكما واحداً وهو الحرية التامة لصاحبهما مع أنهما أمران مختلفان اختلافا بينا لايجدر بذي فكر ان يغفل عنه . فان الاعتناد هو ان يعتقد الانسان بقلبه حسن شيء او قبحه، وصحته أو فساده، وأباحته أو حظره ، والدعوة الى الاعتقاد ان يدعو غيره الى ان يعتقد مثل اعتقاده ، بأي وسيلة من وسائل الدعوة ، كالنشر في الصحف السيارة أو في المجلات أو تأليف الكتب لترويج الدعوة أو بالمناظرة أو بالخطابة في المحافل الى غير ذلك مما يكون هو المثير لمجاجه ـ وعلى ذلك يكون من الخرق ان نسوي بين الاعتقاد ، بين الدعوة الى الاعتقاد ، ونقول ان الحرية مكفولة فيهما جميعا ، فالدين الاسلامى يفرق بينهما وكذلك الدستور المصري «م١٣» واليك بيان ذلك

حكم الاعتقاد

الدين الاسلامي قد كفل حرية الاعتقاد بالمعنى المتقدم في الدنيا فلكل انسان ان يعتقد ما يشاء بدون ان يحجر عليه احد أو يكرهه على ترك اعتقاده احد لقوله تعالى (الاكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي * بل الانسان على نفسه بصيرة * فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر * أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) « من الاكراه »

وليس ذلك الحكم خاصا بالرسول لعدم دليل الخصوصية . واذا كانت حرية الاعتقاد في الله ورسوله حاصلة في الحياة الدنيا، فكل اعتقاد سوى

ذلك يكون مكفول الحرية التامة بالاولى ـ وأما حكم الاعتقاد في الاخرة فهو ان يحاسب صاحبه عليه حسابا دقيقا ثم يجزاه الجزاء الاوفى

وقد أراد السلطان سليمان القانوني من سلاطين الدولة العثمانية ان يكره أهل النمسا والمجر على الاسلام بالسيف ليصطبغوا بالجنسية الاسلامية ويضع عن دولته أصر محاربتها ويكون في أمن من عداوتها وطلب الى المفتي اذ ذاك العلامة ابي السعود صاحب التفسير المعروف فافتى بمنع ذلك واحتج بقوله تعالى (لا إكراه فى الدين) فعند ذلك احجم السلطان سليمان عن رأيه وهو مرغم بالخضوع لهذه الفتوى ، وامران تجعل هذه الفتوى الى جانبه في القبر ليلقى بها الله يوم الحساب . فهل بعد ذلك يقال ان الدين الاسلامي يكره الناس على الاعتقاد به ؟ ان من يقول ذلك يكون قد ظلم الله ورسوله ، والله ورسوله من ذلك برآء ، ولا يتصور بحال من الاحوال ان يكون لانسان سلطان على قلب انسان غيره بالقوة والقهر ؛ فلا يتعلق الاكراه حينئذ بالقلب البتة ، بل مكانه الحواس الظاهرة ، ألا ترى الى قوله تعالى (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان)

ولذلك نفى الله تعالى جنس الاكراه في الاعتقاد بلا النافية للجنس فقال (لا إكراه فى الدين) فنفى وقوع الاكراه في الدين والاعتقاد لاستحالة حصول الاكراه للقلب ، و يتبع ذلك فهم حكم معالجة الاكراه في الدين بواسطة الحواس الخارجة ، فان معالجة المحال ، وهو الاكراه في الدين عبث وضلال يصان عنه العقلاء

﴿ حكم الدعوة الى الاعتقاد ﴾

ان الذي يدعو الناس الى أن يعتقدوا مثل مايعتقد ، انما هو مهاجم لهم

في عقائدهم التي هم عليها ، يريد ان يغزوهم خلال صدورهم ، يبتغي أن يتغلب عليهم بحججه في طيات ضمائرهم ، وحيث تستقر حبات قلوبهم ، وذلك في مكان لا تستطيع أن تصل اليه يد انسان ، فهذا الداعي إما أن يكون من وراء دعوته الخير للناس ، وإما ان تتكشف دعوته عن شر يحيط بهم ، ولن يخفي ادراك ذلك على كل ذي قلب ، ولن تلتبس إحداهما بالاخرى ، كما لا يلتبس الخير بالشر ، فهما ضدان ممتازان الامتياز كله . فان كانت الاولى استحق على الناس المعاونة ، وكان ذلك حقا عليهم يحاسبون على التقصير فيه لقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير) الآية (وتعاونوا على البر والتقوى)

وان كانت الثانية وجب على الناس ان يأخذوا على يديه لانه يحملهم على شر فيمنع من ايقاع الناس فى ذلك الشر ، وذلك بتجاوزه حد الاعتقاد في نفسه وإسرافه في أمره ، وتماديه في إضلال الناس ، فهذا هو الذي يخرج عن دائرة اعتقاده الى دوائر آراء الناس ، ليخرجهم منها الى شر منحط عنها ، وذلك سفه وعته وميل عن سبيل الخير — وهو سبيل الله — الى سبيل الشر — وهو سبيل الطاغوت — واعتداء على الناس فى اعتقادهم ، وقد عبث بحرية اعتقاد الناس بتضليله إياهم ، وهم على أهدى من القطا ، وهو على متن الضلال مختلط الخطا ، فحق على الناس ألا يعاونوه ولا يسمعوا له دعاء لقوله تعالى (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وقال تعالى (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن) فهذا نهي صريح عن ان يدعو أحد غيره الى الشر فى الاعتقاد سواء من أوعد بلسانه ومن منع بالقوة عن اعتقاد الخير

ولا شك ان الذي يدعو الى شر عادة يجر إلى شرور فان أخذوا على يديه نجا ونجوا وإلا هلك وهلكوا . وهذا هو معنى الاخلال بالنظام

العام المنصوص عليه في المادة ١٣ من الدستور المصري في حرية الاعتقاد والاديان . وانظر الى قوله تعالى في الذين يدعون غيرهم إلى أن يعتقدوا عتقادهم الباطل (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا الذين استكبروا : لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا الذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم ؟ بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) وقوله تعالى (اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا) وقوله تعالى (ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا) كل ذلك دليل قاطع على ان للداعي الى الشر في الاعتقاد بعد اعتقاد الايمان الذي هو خير حكما خاصابه يتنزعن التابعين فيجازى على ضلاله جزاء ، وعلى اضلاله جزاء غيره ، بل يصرح بزيادة عذاب الداعي أكثر من هذا قوله تعالى (وقال الذين كفروا للذين آمنوا : اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ، وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون * وليحملن أثقالهم) جزاء ضلالهم (وأثقالا مع أثقالهم) جزاء إضلالهم غيرهم . فهذا حكم الاعتقاد وهذا حكم الدعوة الى الاعتقاد في الشريعة السمحة وفي الدستور المصري

﴿ الدين الاسلامي صالح لكل زمان وكل مكان ﴾

ومن كل ماتقدم يتجلى للقاريء ان الدين الاسلامي لا يضيق ذرعا عن تلك الحضارة الغناء ، بل يتسع لها من غير ماتكلف بكل أنواعها الخالصة من شائبة الهمجية ، فلا جمود في الشريعة الاسلامية ولا تأخر يلحق من يعمل بمقتضاها على النحو الذي رسمناه ههنا ، ولا انحطاط يتهدد العاملين بمبادىء الدين الحنيف وبمحدثات الدنيا الحديثة فان معظم الذين تعرضوا لقانون الشريعة الاسلامية من علماء القوانين الوضعية جاهروا بعد طول البحث وتمام التحقيق بأنها صالحة لكل زمان وكل مكان (مع ملاحظة اننا لا نقصد بالشريعة الاسلامية ماهو مدون في كتب الفقهاء الاعلام ، فاننا لا نتعرض للقول بأن ذلك يتمشى مع روح العصر الحاضر في جميع جزئياته «أولا» ولا نقول انه لو خالفت جزئية منه ماهو واقع بيقين يكون ذلك طعنا في الدين فذلك ليس من موضوعنا)

والى القاريء ماجاء بكتاب اصول القوانين للاستاذين كامل بك مرسي وسيد بك مصطفى صفحة ٣٧ بند ١٥ — ننقله من غير تصرف

الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان . وقد توهم البعض أن أحكام الشريعة الاسلامية ثابتة وغير متغيرة وانها مع ذلك تتنافى مع التمدين الحديث وتقدم الامم ولكن هذا اعتقاد غير صحيح وان احكام الشريعة تصلح لكل زمان وكل مكان وذلك :

أولا — لان الخليفة له أن يضع أحكاما بشروط خاصة تتعلق بما

نظاله المصلحة العامة بنصوص الحوادث الجديدة وما يصدره من الاحكام يكون مشروعا ويجب العمل به شرعا مادام انه صادر وفقا للاصول العامة الشرعية وبذلك يصح للخليفة أن يصدر كل الاحكام التي تصبح لازمة بحسب الزمان والمكان

ثانياً — توجد انظمة شرعية كثيرة لا تختلف في شيء عن الانظمة الوضعية في سائر الامم كحكم عدم انتهاك حرمة المنازل المدون في كل القوانين العصرية

ثالثا — لان الشريعة الاسلامية لم تكن قواعد دينية خاصة بسرد واحكام الادب المحررة وعلاقات الناس مع الخالق فقط بل انها ايضا عبارة عن مجموع احكام اجتماعية صحيحة فنجدها تحوي أحكام كل المعاملات والعقود واحكام الاحوال الشخصية والزواج والمواريث والوصية واحكام حق الملكية والحقوق الاخرى كحقوق الارتفاق والانتفاع الخ وكذلك تشتمل أحكام المرافعات والاجراءات والانظمة القضائية وطرق الاثبات والاحكام وطرق الطعن، وأيضا تشتمل على أحكام العقوبات، وبعبارة أخرى فان أحكام الشريعة تشتمل كل الأنظمة التي تشتملها القوانين الوضعية في البلاد الاخرى » اهـ

خاتمة جامعة

هذا ما استجمعته القريحة من رياض الشريعة الغراء ، وهذا ما شرح لنا مكنونها من الحضارة الغناء ، فكانت الحضارة عونا على تعزيز دعائم الاسلام ، وكان الدين الاسلامي ذريعة الى تقرير حقائقها ، وباعثا على جني زهراتها وجمع نظرياتها ، ومن بقيت في نفسه بقية من الظن بان الاديان لا تتمشى مع هذه الحضارة ومن بينها دين الحنيفية السهلة السمحة فذلك أحد شخصين إما مكابر لا تقنعه البدهيات ، ولا تكشف شبهته اليقينيات ، وأما قليل الاطلاع ، ضئيل الاستماع ، وكلاهما لا يغير الحق ، ولا يمحق ما انمحق بل يجادل نفسه ولا يلوم غيرها

وقد تسنى لنا في هذه الرسالة أن نكتب نماذج لا غير للتوفيق العملي بين الحضارة والاسلام على النحو المرقوم في صفحات معدودات يستطيع القارىء أن يطلع عليها في جلسات محدودات ، وهو آمن من الملل ، وفي أمن من الزلل

ولا يفوتنا أن نودع القارىء في هذه الخاتمة باعتذار عما لم نذكره ههنا من العلوم الحديثة الباقية ، فاني لم أسلك سبيل الحصر ولا سقت نموذجا يفيد القصر ، وانما بينت نماذج نظريات مختلفة ، ويبقى ما سواها مقيسا عليها من غير ما إلباس فان القياس مرحمة للناس ، وذلك مثل ما تقرر في علم الاقتصاد السياسي من (١) تشجيع المنتجين على انتاجهم (٢) توزيع العمل والاختصاص ، فالاول يدل عليه قوله تعالى (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) مع قوله تعالى (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا)

والثاني يدل عليه قوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى

فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل: كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم:) وفي هذا إشارة الى أن الاحتكار ليس من مصلحة الامة في شيء لانه تحكم في تقويم المواد التجارية المحتكرة وكثيراً ما يؤدي ذلك الى حركة عكسية تضاد نظرية العرض والطلب المشهورة في علم الاقتصاد وفي ذلك اضرار كبير بغير الاغنياء لذلك قسم الله الفيء من غير قصر على طائفة مخصوصة كي لا يكون دولة بينها ، وممنوعا عن غيرها

ومثل ما تضافرت عليه القوانين الوضعية المدنية الحديثة من كتابة الدين والاشهاد عليه وهو ما جاءت به آية المداينة المشهورة ويكفي القانون الاسلامي شرفا على سائر القوانين المدنية انه اشتمل على نظام للتوريث عجيب بديع قد خلا منه معظمها وإن كثيراً من المشرعين ليشهدون له بالفضل ويحفظون له مكانة سامية بين القوانين الحديثة وأن مواريثهم التي أقروها مجاراة لعادات ألفوها : والعادة قانون آخر ! خير شاهد على علو الميراث الذي أوحى الله به على رسوله النبي الامي

وقد بقيت لدينا أمثلة قليلة نترك أمر الخوض فيها الى الايام القابلة ان شاء الله تعالى

ويلاحظ ههنا أن هذا التوفيق العملي لم يشتمل على شيء من الاحاديث التي تعارض نظريات حديثة يقينية بل اقتصرنا على الآيات القرآنية مع النظريات الحديثة فهما واستنباط أحكام والسر في ذلك أن الاحاديث التي صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (بحسب مصطلح أهل الحديث) كلها أخبار آحاد تتردد بين الغريب والعزيز والمشهور الى غير ذلك مما تقرر في موضعه ولا شيء من ذلك يفيد اليقين لانه غير

قطعي الثبوت عن المعصوم وليس منها ماهو متواتر الاحديث « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » على خلاف فيه: لهذا كان من الشطط أن نحاول التوفيق بين النظريات اليقينية وبين خبر رواه الآحاد مع التناقض بين الخبر والنظرية وذلك مثل مارواه البخاري رضي الله عنه في حديث جابر مما يتعلق بمنابع النيل والفرات وسيحون وجيحون فان التوفيق بين المنابع التى شوهدت بالعين ولمست باليد وبين هذه الرواية أمر عسير غير يسير بل مغبة ذلك أن يقال : (خبر آحاد يعارض الحس وحكم ذلك معروف عند أهل الحديث) هذا الى الاحاديث التي تكاد تفوت الحاسبين في مختلف الكتب وفيها الغث والسمين وفيها الصحيح والموضوع فهذه ان خالف الواقع شيء منها لايضر الدين الاسلامي في شيء لان ذلك حجة غير ملزمة بل هو حجة ظنية فلا تزعزع دينا ثبت بيقين عن الله ورسوله وعززته العلوم فى عنفوان تقدمها وفي اعلى أطوارها (فان الظن لايغني من الحق شيئا) وبذلك يكون الحديث الذي يناقض الواقع بيقين ليس من الدين ولا يرمى به أهل الدين بل يبرأ منه الله ورسوله وجماعة المسلمين (كما تقرر في علم الحديث رواية ودراية) قال شيخ من الخوارج بعد ماتاب: انظروا عمن تأخذون دينكم فانا كنا اذا أردنا أمرا صيرناه حديثا ونحتسب الخير في إضلالكم: اهولا يخفى أن هذا هو حكم الحديث الذي يشتمل على القصص والاخبار عن الكائنات فاما أحاديث تشريع الاحكام فذلك محل خلاف بين العلماء السابقين رحمة الله عليهم أجمعين فمنهم من لايوجب العمل بغلبة الظن ومنهم من يوجب العمل به ولكل دليل وليس من موضوعنا هنا

ولا يمنعنا ذلك من أن نستأنس ببعض الاحاديث التي هي أخبار آحاد على تضييد ماثبت من اليقينيات المبينات ، فإن ذلك يوجب الطمانينة بقرب الظن من اليقين وما أصدق الظن اذا عضده اليقين

وقد أعرضنا عن الامور الشكلية التي لا يمس البحث فيها عقيدة ولا يعارض نصا متواتراً لظهور حكم الله فيها وذلك مثل التزيي بازياء مخصوصة وترك ماسواها والاكل بالشوكة والسكين وحلق الشارب واللحية والجلوس في المنتديات (القهاوي) واستماع الآلات الموسيقية المختلفة والتمثيل (كوميديا وبروباجندا) ومدة القصر في سفر الطيارات ونحو ذلك مما لم يكن في أيام الرسول وأصحابه عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام . بل أوجدتها يد التمدين الحديث .

وأختم هذا الكتاب بكلمة واحدة وهي ان الله رب القلوب الباطنة وإله النفوس الخالصة ، فمن جعل قلبه لله فذلك عبدالله ولو كان أشعث أغبر ، ومن اتخذ آلهه هواه ، فالله منه بريء ولو كان أنيقا ظريفا ومن وافق ظاهره باطنه فذلك ولي الله والله يتولاه وينصر من والاه وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيراً ؟

انتهى والحمد لله أولا وآخراً